أرسين لوبين

الغرفة الصفراء



مغامرات "أرسين لوبين"

● ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس.

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١,٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

الغرفة الصفراء

(٤٧)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

تلفون : 00 961 9 902 131

فاكس : 00 961 9 902 939

الفصل الأول

الغرفة الصفراء

طوى الرجل الجريدة ووضعها امامه ونظر إلى المائدة المجاورة ولم يتمالك نفسه من الابتسام .
كانت الفتاة التي جلست إلى تلك المائدة تحاول التفاهم مع خادم المطعم ، والخادم لا يستطيع ان يفهم عباراتها الفرنسية السقيمة التي كانت تنطق بها بلكنة اجنبية .
واحست الفتاة بعجزها ونظرت حولها وفي عينيها مزيج من الياس والحرج ، وتعلقت عيناها بعيني الرجل لحظة ، وأحس الرجل بانها تستنجد به وتدعوه إلى التدخل . وكان قد فهم غرضها فالتفت إلى الخادم وقال له بالفرنسية في هدوء ولكن بلهجة حاسمة :
- اصغ إلي يا هذا ، إن الآنسة تطلب شرابا جيدا مع قطعة رقيقة من قشر الليمون .
فاحنى الخادم قامته وانصرف لتلبية الطلب واشعل الرجل لفافة تبغ وراح يدخن في لذة وارتياح كانما لا يوجد في الدنيا ما يشغله غير جارته الحسناء التي جعل ينظر إليها خلسة بجانب عينه .
وبعد قليل عاد الخادم ووضع امام الفتاة قدحا فتناولته ورفعته إلى فمها في حذر وتذوقته في بطء وقلبت شفتيها باشمئزاز ولم يتمالك الرجل نفسه من الابتسام فقالت له الفتاة بالإنجليزية :
- ليتني كنت اتكلم الفرنسية كما تتكلمها لكي اقول لهذا الخادم كلاما لا يسره .
فاجاب الرجل :
- إن خدم المطاعم والفنادق قلما ياتونك بما تريدين ، باستثناء خدم المطاعم في انجلترا وامريكا .
ثم استطرد بعد صمت قصير :
هل تجدين صعوبة في التفاهم مع اهل باريس ؟
فاجابت ضاحكة :

- إنك رايت بنفسك مثلا من امثلة هذا التفاهم ، ولكني الاحظ انك تتكلم الإنجليزية بطلاقة ، فهل انت فرنسي ؟

- نعم ، ولكني أعتبر نفسي رجلا دوليا اتكلم بضع لغات كما يتكلمها أهلها .

- هل ذهبت إلى انجلترا او امريكا ؟

فابتسم الرجل واجاب في شيء من الأسى :

- ليتني أعرف مكانا لم اذهب إليه .

فنظرت إليه طويلا في فضول والتقت عيونهما مرة اخرى .

قالت فجاة :

- حدثني أيها الغريب ، أين تستطيع فتاة ان تقضي سهرة ممتعة ، فتاة توشك ان تقدم على مغامرة . فإذا فشلت فلن يكون في مقدورها بعد ذلك أن تختار المكان الذي تذهب إليه ، هل فهمتني ؟ أريد سهرة من نوع يترك في النفس اثراً لا يمحى .

فصعدها الرجل بعينيه وفكر لحظة ثم اجاب :

- إن باريس كلها تحت تصرفك ، فهل تريدين قضاء السهرة في أحد المنتديات الليلية المحترمة ، ام في أحد الصالونات غير المحترمة ؟؟

- ايهما تفضل ؟

- انا شخصيا اقترح قضاء سهرة شاعرية في مطعم هادئ بشارع (سان لورانس) اشتهر باطعمته الإنجليزية الشهية ، وبعد ذلك نرى ما سوف يكون .

- وانا قبلت اقتراحك أيها الغريب .

ودعا الرجل الخادم ونقده الحساب بينما حملت الفتاة حقيبتها وقفازها وانصرف الاثنان معا ، واستقلا سيارة اجرة كانت بالباب .

قالت الفتاة :

- إن لدي فسحة من الوقت حتى منتصف الليل أيها الغريب .

وخلعت قبعتها واسندت قدميها الصغيرتين على المقعد المقابل ، وسقط ضوء مصابيح الشوارع على وجهها ، ورآها الرجل بكل فتنتها وجمال طلعتها .

سالها :

- وبعد منتصف الليل .. الا تتركين لي فردة حذاء علـــى سبيل

الذكرى »

- بل ساترك لك الحذاء كله .. لأن هناك منزلا يجب أن أسطو عليه .

وتناولا معا عشاء شهيا اعترفت الفتاة بانها لم تتذوق في باريس طعاما في جودته ولذته . ثم قبلت من الرجل لفافة تبغ أشعلتها بعود الثقاب الذي قدمه إليها ، ونظرت إلى مضيفها في شيء كثير من عدم الكلفة ، على نحو ما يحدث بين شخصين استمتعا باكلة واحدة .

قالت :

يسرني أنني قابلتك ايها الغريب . فانت إنسان تقابل الأمور في هدوء ولا تلقي أسئلة محرجة .

فابتسم الرجل . لقد تعود أن يسمع عن نفسه إطراء من هذا الطراز.

أجاب :

- إننا معشر اللصوص قلما نفقد هدوء أعصابنا واتزان تفكيرنا ، أما عن الأسئلة المحرجة فهذه يمكن إلقاء الكثير منها فيما بعد .

فارسلت من فمها خيطا رفيعا من الدخان راحت ترقبه وهو يتصاعد نحو السقف ثم قالت في هدوء :

- ساتحدث إليك في صراحة أيها الغريب ، إن النساء يحببن الثرثرة، وما ألذ الثرثرة في ليلة كهذه يبدو كل شيء فيها كانه حلم ، إننا لم نلتق قبل الآن ، وقد لا نلتقي ابدا بعد ذلك فهذا اللقاء من النوع الذي ليس له ما وراءه إلا الذكرى .

- ومن هذا الوحش الذي ستفتكين به الليلة ؟

- إنه أحد الذئاب التي يراها المجتمع في ثياب الحملان ، هل سمعت عن "بيرت نورثويد " ؟؟

نعم ، إن الرجل الغريب قد سمع عن "بيرت نورثويد " ، بل ويعرف الكثير عنه وعن أمثاله ممن اثروا خلال الحرب بوسائل ملتوية ، إنه يعرف أن " نورثويد " جمع ثروة طائلة من توريد الأحذية لجنود الحلفاء بثلاثة أمثال ثمنها الحقيقي وانه أصبح بفضل هذه (الخدمة الوطنية) من كبار الأغنياء ، ولا تزال فروع مؤسسته تعمل في جميع العواصم الأوروبية والأمريكية اما الرجل نفسه فإنه تقاعد وترك الإشراف على أعماله الكثيرة للعنصر النسائي في أسرته لأن الأسرة

خلت من الذكور .

اجاب الرجل :

- نعم ، إنني سمعت عن " نورثويد " إنه أحد رواد الصناعة في العالم .

فقالت الفتاة :

- وهو كذلك عمي ، وأنا ادعى " إميلي نورثويد "

وحمد الرجل الله على انه لم يصارح زميلته برايه الشخصي في "بيرت نورثويد" وهو راي ما كان ليكتمه لو ان هذا الأخير كان موجودا.

قال ببرود :

- إنني أرثي لك يا آنسة .

فقالت :

- إن أبي أستاذ للهندسة في جامعة (تورنتو) بكندا ، ومن المؤكد انك لم تسمع عنه قبل الآن ، ولكني اعتقد أن الله لم يخلق اخوين يختلف كل منهما عن الآخر كما يختلف ابي عن أخيه ، كان كل هم عمي أن يبحث عن النقود ويختزنها ، اما أبي فلم يكن كذلك قط . إنه رجل هادىء كريم لا يختلف عن اي إنسان عادي ، وهو خارج عمله اشبه بالأطفال سذاجة ووداعة ، وقد بدا كلاهما من الحضيض وحقق كل منهما أهدافه ، فجمع عمي ثروة طائلة ، واتم أبي دراسته والتحق بجامعة (تورنتو) وحصل على درجة جامعية ، ووصل إلى مركزه العلمي الحالي ثم جاءت امي ففرقت بين الرجلين . كان عمي يريدها زوجة له ، ولكنها اختارت ابي زوجا لها .

فهز الرجل راسه في صمت واستطردت الفتاة :

- لم يكن لأبي ذنب في ذلك ، ولكن عمي لم يغفر له قط ، ولا اظن انه غار من ابي او انه كان يحب امي حقيقة ، واعتقد ان سبب حنقه وغيظه انه اصطدم لأول مرة في حياته بشيء لا يمكن شراؤه بالمال ، فخدش ذلك كبرياءه واثار ضغينته .

ومهما يكن من امر فإنه لم يفصح عما يعتمل في نفسه ، وظل يتظاهر بالحب والعطف ولم يرتب ابي من ناحيته في شيء ، ولكني

كنت ارى والاحظ وكثيرا ما حاولت أن الفت نظر ابي إلى أن أخاه لا يضمر له خيرا . ولكنه كان يرفض الإصغاء إلي ، بل واكثر من ذلك انه ساعد "بيرت" على مضاعفة ثروته ، لأنه مخترع بارع وقد صنع لعمي خلال الحرب آلات تنتج ضعف كمية الأحذية بنصف التكاليف ، وأظن ان عمي كافاه على ذلك بان أعطاه مائة دولار .

وهنا ابتسمت الفتاة واستطردت :

- لقد بدات القضية تبدو كإحدى الروايات البوليسية . أليس كذلك؟

- إنني احب هذا النوع من القصص .

ازدردت الفتاة ما كان في قدحها من شراب وقالت :

- ومع ذلك فإنها قصة لها مثيلات في كل يوم . لقد شرع ابي منذ عامين في ابتكار جهاز للسيارات ينقل سرعاتها بطريقة آلية ، هل تفهم ما اعني ؟ إنه جهاز يساعدك على قيادة السيارة دون أن تستخدم اي شيء آخر غير (الفرامل) ، جهاز ينسق سرعة السيارة في الطرق المرتفعة والمنحدرة ووسط الزحام دون أن تحرك ساكنا ، وإنه موضوع فني لا ضرورة الآن للإفاضة في وصفه وشرحه وبحسبي أن اقول لك إنه سيحدث انقلاباً خطيرا في صناعة السيارات ، وانه يساوي ثروة ضخمة ، وقد انفق ابي في سبيل صنعه وتحسينه كل ما ادخره طيلة حياته واحس منذ ثلاثة اشهر بانه لا يملك ما يساعده على الاستمرار للوصول باختراعه إلى اقصى حالات الدقة والإتقان فلجا إلى عمي "بيرت" يطلب المساعدة .

وصمتت الفتاة ، وكان الرجل يصغي إليها بانتباه ، وعقله يعمل بسرعة ، فارسل من فمه سحابة من الدخان ، نظر من خلالها بإمعان إلى وجه الفتاة نظرة صريحة فاحصة نافذة وقال :

- وقد ساعده " نورثويد " بالتاكيد .

- إن عمي اقرضه خمسة آلاف دولار بضمان اسمي ... او هكذا قال له ، ضمان اسمي لا أهمية له ، هو عبارة عن طائفة من الوثائق وقعها ابي للشكليات فحسب ، وأظنك ادركت معنى هذا .

- اظن ذلك .

- إن تصميم الاختراع موجود الآن في خزانة عمي بقصره في (سان كلو) وهذا التصميم هو عصارة ذهن أبي ، وخلاصة تفكيره وعلومه وجهوده منذ عشرات السنين . وتوجد مع التصميم في الخزانة ورقة بخط ابي تقول : إن الاختراع اصبح ملكا لعمي ، وله كل امتيازاته ومن حقه أن يستغله على الوجه الذي يريده ولم يقيد هذا الحق بحد او تاريخ ، وكان المفروض ان ينتهي حق عمي في الامتياز في الموعد الذي يتم فيه سداد القرض ، ولكن الورقة لم يذكر بها شيء من ذلك. لأن أبي رجل طيب القلب ، لا يعرف الخدع القانونية ، وقد وقع هذه الورقة في غيابى فلم اعرف بامرها إلا بعد فوات الأوان .

فقال الرجل في هدوء :

- هل افهم من ذلك ان قصر عمك في (سان كلو) هو المكان الذي تريدين السطو عليه الليلة ؟

فنظرت إليه بإمعان ، دون أن يهتز لها هدب ، نظرة صريحة تنم عن العزم وقالت في هدوء :

- اصغ إلي ايها الغريب ، ساظل ازعم ان هذه الليلة كلها حلم من الاحلام وأن ما دار بيني وبينك هو جزء من هذا الحلم الممتع ، ولولا ذلك ما صارحتك بكل هذا ، نعم ، إنني ساسطو الليلة على قصر عمي إذا استطعت ، وساحاول الاستيلاء على مفاتيحه وفتح خزانته وسرقة تصميم الاختراع والوثيقة التي وقعها ابي ، إذ لا امل في أن يتمكن ابي من سداد القرض ، وعمي يعلم ذلك ، وقد اتخذ فعلا كافة الإجراءات اللازمة لبيع الاختراع لشركة السيارات (فورد) ولا توجد اية وسيلة قانونية لمنعه من عقد هذه الصفقة ، إنها قضية من القضايا التي يمنح فيها القانون تسعة أعشار ملكية الشيء لحائزه ، فإذا استرددنا العقد والتصميم فلن يجرؤ عمي "بيرت" على رفع الأمر للقضاء وعرض تفاصيل الصفقة علانية ، لأنها صفقة مخزية له ، ويجب عليه أن يبسطها أمام القضاء إذا أراد المطالبة بشيء ، فهل ترى فيما اعتزمت خروجا على الصواب والمنطق؟.

- إلى حد ما .

فقالت وهي تحرك الكاس بين أناملها :

- ربما ، ولكن حدثني ايها الغريب ، هل سمعت عن شخص يدعى

"لوبين" ؟

- فاجاب الرجل في بساطة :

- " ارسين لوبين " ومن ذا الذي لم يسمع عنه ؟

- إنني قرأت وسمعت عنه الكثير وأحسب أنه الوحيد الذي يستطيع القيام بهذه المغامرة . إنها مغامرة عادلة رغم ما تنطوي عليه من خروج على القانون ، فليتني أستطيع مقابلته ، فإن مثله خير من يفهم هذا الموقف على حقيقته .. انت كذلك إنسان حسن الإدراك ايها الغريب ، وقد اصغيت إلي في صبر واناة وقد رفه ذلك عني وساعدني على المضي في سرد قصتي إلى النهاية ، والآن أرجو أن تنسى أو تتناسى كل ما سمعت ولنتحدث في شيء آخر .. اي شيء آخر يروقك.

فملأ الرجل قدحه ورفعه في يده ، وقال وقد اشرق وجهه فجاة :

- لا اظن انني سانسى او اتناسى يا "إميلي" انا "ارسين لوبين" ، ولم تخلق بعد الخزانة التي اعجز عن فتحها وسنذهب معا إلى (سان كلو) .

قالت الفتاة :

- هو ذا القصر .

واوقف "لوبين" السيارة . كانت سيارتها وقد تركته يقودها .

ووجد "لوبين" نفسه امام قصر فخم مشيد على الطراز النابليوني فوق اكمة بعيدة عن الطريق وتحيط به حديقة مترامية الأطراف .

غادر السيارة ووقف يتامل القصر وخيل إليه بعد قليل أنه يعرف كل ركن فيه كما لو كان قد اقام به عدة اعوام إذ نقلت إليه الفتاة - بوصف مسهب - مداخل القصر ومنافذه وقاعاته واروقته ، ورسمت له على ورقة في المطعم وهما يتناولان اقداح القهوة صورة صحيحة عن مواقع الغرف ومكان الخزانة من الغرفة التي يدعوها عمها (الغرفة الصفراء).

وكان الليل قد انتصف أو كاد ، والسماء مظلمة لا قمر فيها ولا نجوم ، كانت ليلة صالحة للمغامرة من جميع الوجوه .

قالت الفتاة :

- إنني لا أزال أجهل لماذا تتكلف هذا العناء وتجازف من اجلي ؟

فاجاب :

- لأنني احب هذا النوع من المغامرات . إن لي رأيا خاصا في "نورثويد" وكنت اتوق إلى مثل هذه الفرصة منذ وقت طويل ، ولو قد سمعت بقصتك وأنا على بعد مئات الكيلومترات لما ترددت في القدوم .

- الا ترى من الأوفق ان أرافقك ؟

فاجاب وهو يتنسم الهواء النقي ملء رئتيه :

- هذه مهنتي وانا ادرى بها منك .

- ولكن هب أن عمي استيقظ من نومه ؟

- ساعرف في هذه الحالة كيف أجعله يعود إلى النوم .

- وإذا فاجاك الخدم ؟

- اشد وثاقهم واقذف بهم من النوافذ .

- ولكن هب انه قبض عليك ؟

فاجاب ضاحكا :

- في هذه الحالة يكون العالم قد قرب من نهايته ، ولكن لا تقلقي . وعلى فرض وقوع هذا فلا بد من حدوث ضجة تبلغ إلى مسامعك وتنبهك إلى الخطر وعندئذ يتعين عليك أن تهربي بالسيارة إلى باريس، وتنتظري النتيجة هناك ، إنها اصبحت مغامرتي .. لا مغامرتك .

قال ذلك ومشى إلى سور القصر بسرعة القط وخفته .

لم ير نورا في النوافذ ولكنه دار بالقصر ليكون على يقين .

وكانت عيناه قد الفتا الظلام فلم يحدث أية حركة تنم عن وجوده .

وما هي إلا دقائق حتى كان قد وثب فوق السور واجتاز الحديقة ووقف أمام الباب الداخلي .

كان بابا ضخما من الخشب السميك فلم يكلف "لوبين" نفسه عناء معالجته واستقرت عيناه على نافذة في الطابق الأرضي ، كان فتحها بالنسبة إليه لعب أطفال .

وما هي إلا لحظة حتى فتحت النافذة فوثب منها إلى الداخل ووجد نفسه في مطبخ القصر فاضاء مصباحه واجال الطرف حوله ووقع بصره على لوحة المفاتيح الكهربائية التي تتحكم في إنارة القصر ، رآها في نفس المكان الذي ذكرته "إميلي" فسار إليها وانتزع المفاتيح

وقطع تيار الإضاءة واحس بالطمانينة .

وإذا أحس به اهل القصر فإنهم سوف يتخبطون في الظلام ويتعذر عليهم مطاردته .

ثم سار إلى صالة القصر ورفع مزاليج الباب الكبير .

لقد كان يدين بحريته لبعد نظره وحرصه دائما على إعداد منفذ او منفذين للإفلات إذا تحرجت الأمور وحدث ما لم يكن في الحسبان .

ثم قصد بعد ذلك إلى (الغرفة الصفراء) في المكان الذي وصفته " إميلي " واهتم بفتح نافذتها قبل اهتمامه بالبحث عن الخزانة .

لقد قالت له " إميلي " إن الخزانة موجودة داخل الجدار وراء أحد دواليب الكتب فإذا فتح باب الدولاب ظهرت الخزانة .

وقد وجد الخزانة حيث وصفتها " إميلي" ، وما إن سقط عليها ضوء مصباحه الكهربائي حتى ادرك انها ليست من النوع الذي يفتح بسهولة. لم يتعود "لوبين" أن يحمل أدوات العمل ، ولا أن يحشو جيوبه - كما يفعل بعض المبتدئين - بالمواد الحارقة او الناسفة او بأجهزة إذابة الفولاذ. فصح عزمه على فتح الخزانة بمفتاحها فتسلل إلى خارج الغرفة وصعد السلم بخطى لا تسمع وقصد إلى حيث يوجد مخدع " نورثويد " .

وكان " نورثويد " مستغرقا في نومه وهو يغط بصوت مسموع ، ولو أنه كان مستيقظا لما سمع حركة فتح الباب او وقع خطى " لوبين " وهو يتسلل إلى الداخل ثم وهو يتناول حزمة المفاتيح من درج المائدة الصغيرة المجاورة للفراش او وهو ينتزع من حول عنقه سلسلة ذهبية يتدلى منها مفتاح قد يكون هو مفتاح الخزانة .

وهبط " لوبين " درج السلم كانه شبح ، وعاد إلى الغرفة الصفراء وسلط نور مصباحه على باب الخزانة واختار من بين المفاتيح واحدا رجح أنه المفتاح المطلوب .

وما إن وضع المفتاح في قفل الخزانة واداره حتى فتح بها بحركة أدخلت السرور إلى قلبه فمد يده المقفزة وفتح درجا كبيراً في قاع الخزانة ووجد حزمة من الأوراق مربوطة بخيط وقد كتب على ظاهرها بحروف كبيرة (جهاز القيادة الأوتوماتيكي) .

وقطع "لوبين" الخيط وبسط الأوراق بين يديه فراى الرسوم والتصميم ووثيقة قانونية ورسائل من بعض مصانع السيارات في امريكا .

وقضى "لوبين" الدقائق العشر التالية في عمل غامض استغرق كل تفكيره وعنايته فلم ينتبه إلى حركة خافتة مهمة كان من الممكن ان تلتقطها اذناه الحساستان لولا انشغاله بالذي بين يديه .

على انه لم يلبث أن شعر بالخطر حين سمع وقع اقدام تتحرك بحذر إلى الشرفة الملحقة بالغرفة ، واقترنت هذه الحركة بلمسات خشنة ، وكان ذلك كله مفاجاة له فرفع راسه واجال النظر حوله كمن لا يصدق اذنيه .

وفي هذه اللحظة وقع بصره مصادفة على الخزانة التي اغلقها في التو واللحظة ، وحينئذ تبين وجود انبوبة معدنية رفيعة ممتدة من الجدار إلى أحد اركان باب الخزانة ، وادرك على الفور أن هذه الانبوبة هي جزء من جهاز الإنذار المثبت بالخزانة ، ولابد ان يكون هذا الجهاز بمعزل عن التيار الكهربائي الذي يضيء البيت .

ولم تكن "إميلي" قد ذكرت له شيئا عن الجهاز ، ومن المحتمل ان يكون "نورثويد" قد احتفظ بامر الجهاز سرا فلم يتحدث به إلى احد .

واطفا "لوبين" مصباحه الكهربائي على الفورووثب نحو باب الغرفة وفتحه في حذر وخرج إلى الصالة .

وحينئذ وجد بينه وبين الباب الخارجي خادما ضخم الجثة يحمل في يده هراوة غليظة .

ونظر إلى الردهة الضيقة الموصلة إلى المطبخ ، وراى خادما نحيف الجسم مفتول الساعدين يتقدم نحوه بخطى لا تكاد تسمع .

وارسل بصره إلى السلم ، وهو المنفذ الأخير ، وراى "نورثويد" واقفا أعلاه وفي إحدى يديه شمعة مضاءة ، وبيده الأخرى مسدس .

ولم يفقد "لوبين" صوابه وتلاعبت على شفتيه ابتسامة وقال في أدب:

– طاب مساؤكم أيها السادة !! يؤسفني انني اقلقتكم في هذه الساعة المتاخرة من الليل .

ثم نكص على عقبيه وعاد مسرعا إلى (الغرفة الصفراء) وأغلق بابها وراءه بصوت مسموع .

وكانت جرأته قد أذهلت الخادمين فجمدا في مكانهما لحظة ثم هجما على الغرفة الصفراء في وقت واحد ، ولحق بهما " نورثويد " ولكنه لم يجازف بالدخول بل وقف بالباب ورفع الشمعة فوق راسه ليتسنى له رؤية ما يحدث في الداخل .

ووقف الخادمان فجاة ولم يصدقا عيونهما ، فقد كانت (الغرفة الصفراء) خالية تماما .

ولكن الخادم الضخم كان أسرع من زميله في استرداد أنفاسه فمشى إلى مقعد كبير في ركن الغرفة وأطل وراءه ، وتشجع الخادم الآخر وأسرع إلى ستار النافذة وحركه ووجد النافذة مفتوحة .

وبينما الخادم الضخم يحرك المقعد ، وزميله يطل من النافذة ، وثب "لوبين " من فوق سلم وراء باب كان يستخدم بغير شك للوصول إلى الرفوف العليا بدواليب الكتب وهبط بكل ثقله على راس " نورثويد " فافلتت من فم هذا الأخير صيحة ذعر وسقطت الشمعة من يده وانطفات فدفعه " لوبين " إلى داخل الغرفة واغلق بابها .

قال " لوبين " :

- لا يزال لدينا متسع من الوقت لقضاء ساعة في أحد المراقص .

فذعرت الفتاة ونظرت حولها ورات " لوبين " يخرج من الظلام . قالت وهي تلهث :

- هل كان من الضروري أن تخيفني على هذا النحو ؟

ولكنه ضحك ونظر وراءه إلى القصر حيث سمع ضجة كان وقعها في أذنيه أعذب من أنغام الموسيقى .

ووثب " لوبين " إلى السيارة وأدار محركها فسألته الفتاة :

- وهل حدث ما لم يكن في الحسبان ؟؟

فاجابها :

- لم يحدث ما يتعذر تلافيه .

وانطلقت بهما السيارة تسابق الريح واشعل " لوبين " لفافة تبغ راح يدخنها في هدوء ولذة .

سالته :

- هل جئت بكل شيء ؟

- الم اقل لك إنني لا أعرف المستحيلات ؟

- ولكن الضجة ..

- يبدو أن الخزانة كانت متصلة بجهاز للإنذار لم يكن لك به علم على أن وجود الجهاز لم يغير من الأمر شيئا . لقد وصل الأغبياء بعد فوات الأوان ولو رايت ضخامة اجسامهم لعرفت سبب إبطائهم .

فامسكت ساعده بانفعال وهتفت :

- إنني لا اكاد اصدق اذني ، لقد انتهى كل شيء الآن ، من ذا الذي يصدق انني اشتركت مع " ارسين لوبين " في مغامرة ؟ ! " ارسين لوبين بلحمه وعظمه هل ثمة مانع من أن أعبر عن اغتباطي ؟؟

ومدت يدها إلى زر نفير السيارة وراحت تضغطه بحركة منتظمة فارسل نغمة موسيقية مرحة .

وابتسم " لوبين " .

إنه نفسه لا يكاد يصدق أن الأمر تم بهذه البساطة والسهولة .

لقد كانت ليلة سعيدة منذ البداية .

وتحول بالسيارة في انحناءة بالطريق وحينئذ راى امامه فجاة صفا من المصابيح الحمراء فقال وهو يضغط فرامل السيارة :

- لم تكن هذه المصابيح هنا عندما جئنا .

وأحس بان زميلته قد صمتت فجاة وجمدت في مكانها .

همست :

- ترى ما هذا ؟

ولكنه هز كتفيه واوقف السيارة على بعد ثلاثة امتار من المصابيح الحمراء التي خيل إليه انها مثبتة في لوح من الخشب موضوع في عرض الطريق .

وكان الظلام دامسا فلم يتبين " لوبين " شيئا وراء المصابيح ولكنه أحس بشيء معدني بارد يلتصق براسه فتحول بسرعة ، وراى فوهة المسدس ، ورجلا يرتدي معطفا قد وقف بجانب السيارة .

قال له الرجل في هدوء مخيف :

- لا تات بحركة .

وأحس " لوبين " بحركة بجواره ، فنظر بجانب عينه وإذا بالفتاة تغادر السيارة .

قالت وهي تغلق الباب :

- هنا تنتهي رحلتي أيها الغريب .

فغمغم " لوبين " في رفق :

- حسنا .

وقال الرجل الممسك بالمسدس بلهجة الامر :

- أعطني الأوراق .

فاخرج " لوبين " من جيبه حزمة الأوراق وتناولتها الفتاة ، واقتربت بها من مصباح السيارة وقرات على ضوئه ما كتب على الحزمة .

وتاملها " لوبين " وهي تفعل ذلك واعجب بخصلات شعرها الذهبي والنسيم يتلاعب بها .

وعادت الفتاة إلى نافذة السيارة وقالت تحدث " لوبين " :

- ليس لـ " بيرت نورثويد " اي شقيق يعمل استاذا في " تورنتو " ، وليست لي اية صلة باسرة " نورثويد " ، وفيما عدا ذلك فإن كل ما ذكرته لك صحيح .

لقد اشترى "نورثويد " هذا الاختراع من مخترع روماني شاب ، ولا أعلم كم دفع له ثمنا للاختراع . ولكنه اشتراه فعلا . والاختراع لم يسجل إلى الآن ، واهم شيء في الاختراعات التي من هذا النوع بالنسبة إلى المصانع ، أن يظل الاختراع سراً حتى يتمكن المصنع من إنتاجه قبل غيره بحيث يسبق به اي مصنع اخر ، و قد كان " نورثويد " يوشك أن يبيع الاختراع لمصانع سيارات " فورد " كما قلت لك .

فسالها " لوبين " في فضول :

- وماذا في نيتك أن تفعلي به ؟

- إن لدي عرضا من (هنري كايزر) صانع السيارات الامريكي المشهور وقد قبلت العرض وسابيعه الاختراع .

قالت ذلك وسارت إلى حيث كانت اللوحة الخشبية التي شدت إليها المصابيح الحمراء فازالتها من مكانها وافسحت الطريق .

ثم عادت إلى " لوبين " ونظرت إليه بالعينين الصريحتين اللتين أعجب بصفائهما في المطعم وقالت :

- إننا قضينا اسبوعا في الاستعداد والتاهب لهذه المغامرة وكان في نيتنا القيام بها بانفسنا هذه الليلة لولا انني التقيت بك في الفندق وعرفتك من صورة نشرتها لك إحدى الصحف منذ بضع سنوات . وكل ما حدث منذ لقائنا كان مجرد وحي جاءني عفو الساعة وبعد ، هل هناك ابدع من ان يسخر الإنسان اعظم خبير في المهنة لخدمته وتحقيق اغراضه ؟

فسالها " لوبين " :

- في اية صحيفة رايت صورتي ؟

- في صحيفة (لابريس) . لماذا ؟

- اه كان ذلك منذ ثلاثة اعوام ، إنني اهنئك لحدة ذاكرتك وقوة ملاحظتك يا انسة .

فضحكت ضحكة هادئة تجمع بين المرح والأسى وقالت :

- إنني اسفة ايها الغريب ، لقد طابت لي صحبتك كثيرا .

فاجابها :

- إنني لا اقل عنك اسفا يا "إميلي" .

فصمتت لحظة ، ثم انحنت إلى الأمام فجاة وطبعت على شفتيه قبلة سريعة .

وقال الرجل الاخر وهو يحرك المسدس في يده :

- امض في سبيلك ولا تتوقف .

- الا تريدون سيارتكم ؟

فضحك الرجل بخشونة واجاب :

- إن لدينا سيارتنا ، اما هذه السيارة فقد استاجرناها من احد (الجراجات) خصيصا لهذه المهمة ، امض في سبيلك .

فادار " لوبين " محرك السيارة ، وصاحت الفتاة :

- وداعا ايها الغريب .

فرد " لوبين " تحيتها بحركة من يده ! دون أن ينظر وراءه ! وانطلق بالسيارة يسابق الريح .

* * *

مهما يكن من أمر الفتاة ، فإنه قد قضى معها سهرة ممتعة حافلة بالمفاجآت التي يعتبرها محور حياته ! وقد كره أن يتصور ما سوف تقوله الفتاة عنه عندما تبسط الأوراق بين يديها وتكتشف انها أوراق زائفة اصطنعها بسرعة في (الغرفة الصفراء) بينما احتفظ هو لنفسه بالتصميم الحقيقي للاختراع الخطير .

* * *

الفصل الثاني

جواهر الملكة

جلس الرجلان في مطعم (ارنو) وبينهما قدحان من الشراب الفاخر .
كان احدهما قصير القامة متجهم الوجه . تنم النظرات التي يختلسها إلى زميله بين الفينة والفينة عن ريبته فيه وعدم ثقته . كان كمن يجالس ثعبانا يخشى ان يلدغه في اية لحظة .
اما الآخر ، فكان طويل القامة حاد التقاطيع لامع العينين ، في نظراته مزيج من المرح والسخرية .
قال الأول دون أن ينظر إلى جليسه :
- عجبا لك يا " بارنيت " ، إنك تضيع الكثير من وقتك في النهاية بتوافه الأمور . والواقع ، لماذا يهتم إنسان مثلك بدراسة أنواع المشروبات ومعرفة طريقة صنعها وخصائص كل منها . وهي مسائل لا يهتم بها غير الذين يتجرون في المشروبات على نطاق واسع .
فابتسم " بارنيت " واجاب :
- إن الذين يعملون في مهنتنا يا عزيزي " بيشو " يشعرون احيانا بان هناك أشياء ينقصهم فيها العلم . فالميدان الذي تجول فيه وتصول لا يضم فقط جيادا تحاول الوصول إلى الهدف قبلك . وإنما تضم كذلك كلابا تحاول ان توقع بك وتقطع عليك السبيل ، والعناية بمعرفة الأشياء الصغيرة قبل الكبيرة كثيرا ما تحقق لصاحبها النصر .
انظر إلي مثلا ، إنني حين اتناول هذا القدح لأرفعه إلى شفتي ، لا افكر في متعة ارتشاف هذا الشراب بقدر ما افكر في الأعناب الذهبية التي صنع منها ، وفي الأسماء الخالدة التي اقترنت باجود انواعه ، إن لبعض هذه الأسماء رنينا أعذب من انغام الموسيقى ، ولا أمل كذلك من التفكير في العظماء الذين استعبدهم عصير الأعناب .
أولئك (السكارى الخالدون) كما أسماهم رابليه ، من امثال اوجست" العظيم ملك سكسونيا الذي رزق بثلاثمائة وخمسة وستين ولدا بين شرعي وغير شرعي ومات من الإفراط في الشراب في

احتفالاته باعياد ميلاد اولاده ، "ودون كلارنسي " الذي غرق في برميل الشراب ، كذلك لا اتمالك نفسي حين اتناول الشراب او ابحث عنه من التفكير في اللآلئ التي ..

فهتف المفتش " بيشو " :

- آه . لقد كنت حائرا لا ادري كيف اقحم موضوع اللآلئ في حديثنا.

- ما أوثق الصلة بين اللآلئ والشراب ؟ الم تعلم ان اللآلئ تذوب فيه ؟الم تقرا ان اباطرة الرومان كانوا في مباذلهم ينثرون اللآلئ في الشراب ليثبتوا انهم لا يقيمون وزنا للمال ؟ الم تسمع عن المادبة الضخمة التي اقامتها " كليوباترا " لقيصر حين قدمت إليه بيدها قدحا من الشراب وضعت فيه لؤلؤة لا تقدر بثمن ؟ إذا لم تكن قد قرات او سمعت عن كل هذا يا عزيزي " بيشو " فانت رجل جاهل لا تصلح مفتشا للبوليس .

فرمق " بيشو " صديقه وغريمه بنظرة صاعقة واجاب :

- دعك مما قرات وسمعت ، إن ما أريد معرفته الآن هو مدى اهتمامك بجواهر الليدي " او بنهايم " التي يلقبونها بملكة الماس .

فتنهد " بارنيت " واجاب :

- إنك تشعرني بالخجل من نفسي يا " بيشو " كلما فكرت في اني اتخذت صديقا لا يهتم بغير الماديات الزائلة . لقد دعوتك لنتناول معا طعاما شهيا ، وننعم معا ببضع كؤوس من جيد الشراب ، وكنا منذ لحظة نقوم بجولة شاعرية في ربوع التاريخ بين الأساطير الخالدة .

وإذا بك تهبط فجاة إلى عالم الإثم والإجرام . وتتهمني بالتدبير للحصول على لآلئ تلك الأرملة التعسة .

فقال " بيشو " بصوت ينم عن الارتياب :

- بل إني سامضي إلى ابعد من ذلك واسالك : هل اختيارك هذا المكان لتناول الطعام كان مجرد مصادفة ؟

- وهل يخامرك شك في ذلك ؟ لقد خيل إلي انه مكان هادئ انيق نستطيع أن نقضي فيه وقتا طيبا .

- الم يقع اختيارك على هذا المكان لانك علمت بطريقة ما أن الليدي "أوبنهايم " ستحضر إليه ؟

- نعم لم أكن أعلم ذلك بالتاكيد .

- إذن فوجودها هنا الآن مجرد مصادفة !

ورفع " بارنيت " حاجبيه في بطء .

وقال " بيشو " دون أن يحول عينيه عن وجه محدثه :

- إنها خلفك إلى اليسار .

فاحتسى " بارنيت " قدحه في هدوء ونظر من فوق كتفه بقلة اكتراث.

فلم يكن في حاجة إلى من يرشده إلى الليدي " أو بنهايم " فقد نشرت لها الصحف والمجلات عشرات الصور ، وكتبت عن ثروتها من اللآلئ والأحجار الكريمة ما جعل صورتها تنطبع في ذهنه .

كان زوجها اللورد " أو بنهايم " رئيسا لاتحاد تجار الماس . وصاحب اغنى مناجم الماس في جنوب إفريقيا وقد توفي في العام الماضي وترك لزوجته ثروة طائلة من الأموال والأسهم والأحجار الكريمة . ولعل أبدع ما تركه لها ذلك العقد من اللؤلؤ الوردي الذي ابتاعه من أحد مهراجات الهند بمائة الف من الجنيهات وكانت الليدي نحيفة الجسم بارزة العظام لها وجه كوجه الجواد الأصيل ولم يكن "بارنيت " في حاجة إلى إطالة النظر نحوها لكي يعرف الكثير من خلقها وطباعها ومع ذلك فقد طالت نظرته اكثر مما ينبغي واستقرت عيناه لحظة على وجه الفتاة الفاتنة الذهبية الشعر التي كانت برفقة الليدي .

قال " بيشو " بصوت خشن :

- هه .. ما رايك ؟

- جميلة جدا .

- بالتاكيد .. لقد قدر ثمنها بمائة الف جنيه .

فهتف " بارنيت " في سذاجة :

- هل تعني اللآلئ ؟ إنني لم انظر إليها .. بل نظرت إلى ابنة الليدي .

- ليس لليدي بنات ، واكبر الظن أنها إحدى صديقاتها او مرافقاتها والآن ، دعك من هذا العبث ولا تحاول أن تخدعني ، إنني عندما علمت بقدوم الليدي "اوبنهايم " ادركت على الفور انك لن تدعها وشانها ، ولهذا جئت لكي احذرك أنني وضعت الليدي تحت المراقبة ٢٤ ساعة في

اليوم . فإذا رآك أحد رجالي تحوم حولها أو إذا حدث لعقد اللؤلؤ أي حادث فسأبادر إلى اعتقالك فورا ولو كنت في المريخ .. تذكر هذا جيدا.

قال ذلك ونهض واقفاً وانصرف غاضبا فشيعه " بارنيت " ببصره حتى توارى ، وفي هذه اللحظة دعيت الليدي " اوبنهايم " إلى التليفون فغادرت مائدتها .. ونظر " بارنيت" إلى الفتاة والتقت عيونهما ، ونكست الفتاة بصرها وتناولت علبة ثقاب ودونت عليها بضع كلمات بقلم أخرجته من حقيبتها .

وبعد قليل ، وضع أحد الخدم علبة الثقاب امام " بارنيت " فقرا فيها: " ٢٧ شارع بيانفيل " ." الساعة العاشرة والنصف " .

وفي الموعد المحدد كان " بارنيت " يصعد درج سلم " المنزل " رقم ٢٧ بشارع بيانفيل " وكان المنزل عتيقا يتالف من طابق واحد ، فطرق بارنيت " الباب وفتحت الفتاة بنفسها فاحنى لها قامته في حركة ساخرة .

وقال في تهكم :

- طاب مساؤك .

فاجابت في هدوء :

- وطاب مساؤك .

وتقدمته إلى قاعة الاستقبال وهناك سالته :

- ماذا تشرب ؟

- أريد قدحا من الشراب إذا سمحت .

وجاءته بما طلب فازدرد الشراب في جرعة واحدة وقال :

- إنه شراب جيد ، أرى أنك لاتزالين كالعهد فتاة فاتنة انيقة . أعتقد ان شيئا واحدا فيك قد تغير ، عندما رأيتك أول مرة كنت تدعين " نورثويد " . فماذا تسمين نفسك الآن ؟ !

- " جانين روجيه " وهو اسمي الحقيقي .

- اسم جميل ، عندما تقابلنا اول مرة ، حاولت أن تجعلي مني مخلب القط ونسيت المثل القائل (من حفر حفرة لأخيه . الخ ..) .

فعضت شفتها وقالت :

- ليس لي أن أشكو . لقد بادأتك بالعدوان ، وقابلتني بالمثل وهكذا

لم يتبق بيننا حساب .
– هذا بديع ، هل افهم من ذلك انك دعوتني إلى مقابلتك هنا لنحتفل بإبرام عهد للصلح بيننا .
فاحمر وجهها قليلا وقالت :
– عندما رايتني مع الليدي " اوبنهايم " . ادركت اننا سنلتقي عاجلا او آجلا. وإنني يجب الا اخدع نفسي ، ولهذا قررت أن اكون صريحة معك .
– هل خطر لك انني اسعى وراء عقد اللؤلؤ ؟
– إذا لم تكن قد سعيت فعلا . فانت بسبيل السعي الآن . ولماذا تعترض ؟ لماذا لا نعمل معا ؟
– هذه فكرة سليمة . ولكن كيف نقتسم الغنيمة ؟
– مناصفة بالتاكيد .
– اتفقنا يا " جانين " . هاتي يدك واقبلي .
وادرك " بارنيت " في تلك اللحظة التي لمست فيها يده يدها انها تضمر له الشر والخيانة ولكنه لم يكف عن الابتسام وسالها :
– وهل فكرت في خطة للعمل ؟
فاطرقت براسها قليلا ثم قالت :
– لقد اتيحت لي أكثر من فرصة لفحص العقد ، وتمكنت من إحصاء عدد حباته وانا اتظاهر بالإعجاب به ، وقد طلبت إلى بعضهم في امستردام " بهولندا ان يصنع لي عقداً زائفا يماثله في لونه وعدد حباته ، ومتى ورد العقد الزائف فليس أيسر من استبدال الحقيقي به.
فنظر إليها " بارنيت " بإعجاب وسالته الفتاة :
– والآن انبئني انت . ماذا كانت خطتك ؟
– لم تكن لي خطة على الإطلاق ، لاني لم اكن اعرف الليدي اوبنهايم " ولم افطن إلى عقدها ولم يكن لي قط اي غرض سيئ ، إلى ان اثار الشخص الذي كان يتناول الطعام معي فضولي وشغفي باللآلئ الفريدة . وبهذه المناسبة هل تعرفين من كان ذلك الشخص ؟ إنه مفتش البوليس " بيشو " وهو من اعز اصدقائي .
فصعدته بعينيها وكانما خطر لها أنه يريد الإيقاع بها ثم تلاشت

مخاوفها وريبتها حين رات نظراته البريئة . سالها :

- متى سيرد إليك العقد الزائف ؟

- غدا ، أو بعد غد .

ومرة أخرى أحس " بارنيت " بان الفتاة تخدعه .

قال وهو يقدم لها كاسه لتملأها :

- وبمناسبة الحديث عن " بيشو " . ارى من الحكمة الا يرانا معا في الخارج.

وحانت منه التفاتة إلى المطبخ وكان بابه مفتوحا ، فهتف :

- خطر لي خاطر . مادمنا لا نستطيع تناول الطعام معا في المطاعم العامة.. فإننا نستطيع أن نتناوله معا هنا .. ساحضر معي غدا بعض المواد ، وساطهو لك طعاما شهيا .

* * *

وفي اليوم التالي ، ذهب إليها حاملا حقيبة مليئة بالمواد الغذائية واشعل الموقد وبدأ يعمل .

ونظرت " جانين " إلى اللفائف التي احضرها والقناني التي وضعها امامه وسالته :

- ما هذا ؟

فاجاب وهو يشمر عن ساعديه :

- ساطهو لك طعاما لم تتذوقي في حياتك اشهى منه ، ساصنع لك حساء على الطريقة الألمانية ، حساء من ذيل الثور ، صحيح ، إنه سيستغرق وقتا طويلا ، ولكنك ستعجبين به .

فقالت ضاحكة :

- سيستغرق وقتا طويلا ! الا نتناوله في المساء ؟.

- اظن اننا لن نستطيع ذلك ، لابد أن يظل فوق الموقد الليل بطوله، وسالحق بك ليلا لكي اضع الشراب بالقدر الكافي .

- ومتى ستحضر ؟

- لا اعلم على وجه التحديد ، حبذا لو اعطيتني مفتاحا للشقة حتى أستطيع الدخول إذا عوقتك اعمالك عن القدوم في الوقت المناسب .

- حسنا ، سأثبت لك حسن نيتي وساعطيك مفتاحا لشقتي .

* * *

وبعد ظهر ذلك اليوم ، فوجئ " لوبين " بـ " بيشو " يزوره في مكتبه .
وألقى مفتش البوليس بنفسه على أحد المقاعد وسأل صديقه :
- أرجو أن تكون قد قضيت وقتا طيبا صباح اليوم .
- شكرا لك ، ولكن ماذا تعني ؟
- أحسب أنني حذرتك ونصحتك بالابتعاد عن الليدي " اوبنهايم "
- من قال لك إني اقتربت منها .
- إنني اعني تلك الفتاة " جانين روجيه " ماذا (تطبخ) معها ؟
- إنني أطبخ معها حساء من ذيل الثور .
فنظر إليه " بيشو " شزرا وقال :
- يجب ان تعلم انني لا اضيع وقتي سدى ، عندما رايت تلك الفتاة بصحبة الليدي " اوبنهايم " ، رجعت إلى ملفات البوليس وعلمت أن ماضيها حافل ، فوضعتها تحت المراقبة وعلمت انك تتردد عليها وقد كنت في شقتها صباح اليوم .
فنظر " بارنيت " إلى صديقه بحدة ثم لمعت عيناه وقال " بيشو " لـ"بارنيت" :
- إن رجلا في مثل مركزك يحسن به ان يحزم حقيبته فورا ويغادر (باريس) إلى أن ترحل عنها الليدي " أوبنهايم " .
- شكرا لك على هذه النصيحة يا " بيشو " ، سافكر فيها جيدا ، هل تستطيع تناول طعام العشاء معي الليلة ؟ إنها قد تكون سهرة الوداع .

* * *

اطفا " بارنيت " نور المطبخ داخل النافذة .. ورأى رجلا يتحرك في الظلام امام المنزل ، ثم رآه يقابل رجلا آخر ويتحدث إليه ..
كان ذلك الرجل قد تعقبه حتى وصل إلى البيت ثم توارى في الظلام وظل يراقب البيت .. ولابد انه كان الآن يتحدث إلى أحد زملائه .
وغادر " بارنيت " المطبخ ، وتسلل إلى قاعة الاستقبال ، واطل من نافذتها ورأى احد رجال البوليس السري يروح ويجيء خلف البيت ..
كان البيت محاصرا ، وموضوعا تحت رقابة شديدة .

ولكن لماذا ؟

وحوالي منتصف الليل ، عادت " جانين " وسمع " بارنيت " وقع قدميها على درج السلم ثم فتح باب الشقة ودخلت الفتاة كنسمة من نسمات الربيع .

قالت له بمرح :

- هالو .. أرجو الا تكون قد انتظرتني طويلا ..

فاجابها بلهجة خطيرة :

- أحكمي غلق الباب .. إن الوقت ضيق ويجب الا نضيع لحظة واحدة .. إن البيت محاصر ، ورجال البوليس يعرفون كل شيء عنك .. لقد انبأني " بيشو " بذلك ، انظري من النوافذ .

وهنا بدرت من " جانين " حركة غير إرادية إذ أطبقت باصابعها على حقيبتها بشدة ..

ولاحظ " بارنيت " هذه الحركة وقال :

- أعطني هذه الحقيبة .

واشتد طرق الباب فصاح بها :

- أيتها الحمقاء . ماذا سيكون مصير بشرتك الناعمة بعد عشرة أعوام تقضينها في السجن ؟

وتناول الحقيبة من يدها وقال لها :

- اذهبي وافتحي الباب .. واسرع إلى المطبخ .

ودخل "بيشو" وعلى وجهه مظاهر الفوز وقال يحدث الفتاة :

- أنا مفتش البوليس " بيشو " .. ولابد أن يكون " بارنيت " قد حدثك عني . جئت الآن في طلب عقد الليدي " أوبنهايم" .

وفي هذه اللحظة خرج " بارنيت " من المطبخ ، ورأى " بيشو " وفي يده حقيبة " جانين " فقال :

- آه .. هذا يوفر علينا كثيرا من المتاعب .. معذرة .. واختطف الحقيبة وعبث بداخلها .

فقال " بارنيت " :

- إن عيبك الرئيسي يا صديقي هو انك لا تنصت جيدا لما يقال امامك . هل تذكر حديثنا حين قلت لك إنني أطهو ذيل الثور ؟ ثم هل

تذكر حديثي معك عن " كليوباترا " وكيف انها وضعت لؤلؤة ثمينة في قدح من الشراب ؟ إن ما فعلته " كليوباترا " أستطيع أن افعل مثله .

واندفعت الفتاة نحو المطبخ " وبيشو " في اثرها . ولكنهما احرقا اصابعهما في وعاء الماء دون ان يجدا اثرا للعقد

قال " بارنيت " :

- يؤسفني ان اقول لكما إن العقد تلاشى في الشراب المغلي وربما كان من الأفضل في هذه الحالة الا تعلم الليدي "اوبنهايم " ان عقدها قد استبدل ويستطيع الصديق " بيشو " أن يقنعها بان اللصة الحسناء داخلها الخوف فهربت قبل أن تستبدل العقد .

فصاحت " جانين " و " بيشو" في وقت واحد :

- يا لك من وغد !!

الفصل الثالث

الطبيب الجهنمي

- ١ -

أشعل "لوبين" لفافة تبغ جديدة ، ثم رشف رشفة أخرى من كأس الشراب الموضوعة أمامه ، ومضى يفكر في أنه إذا احتاج القضاء على الأشرار أن يلقى رجل مثله شيئا من العناء والمضايقات ، فلا ريب أن أشدها هو اضطراره إلى الجلوس في ذلك الوكر الذي يطلقون عليه اسم (قبو كوكي) ذلك الملهى الليلي العجيب المقام في بدروم إحدى العمارات الجديدة .. شرقي (نيويورك) ولم يكن الشراب وحده مبعث ضيق "لوبين" ، إذ كان مزيجا من الماء المثلج وقطرات طفيفة من الشراب .. بل إنه كان ينظر إلى صحفة المحار التي قدمت إليه ، فيرتد طرفه حسيرا وتتراجع يده وهي تأبى أن تمتد إليه .. إذ كانت الصحفة مليئة بسائل غريب ، تطفو على سطحه قطع صغيرة من الثلج وتسبح بينها أربع محارات هزيلة أدركت منذ أمد بعيد أن النضال في سبيل الحياة والنمو عبث في عبث ..

أما ثالثة الأثافي فهي تلك الضجة العجيبة المنبعثة من فرقة الموسيقى ، فيخيل إليك أن كلا من أفرادها الخمسة يعزف لحنا غير الذي يعزفه زملاؤه ! وتسمع من ذلك خليطا من الأصوات المتنافرة العجيبة يدقها قارع الطبل ضغطا على طبلته فتشعر من إيقاعه كان مطرقة عنيفة تهوي على رأسك بين لحظة وأخرى . وكان الهواء قد فسد لضيق المكان واكتظاظه بالحضور ، وامتزجت فيه رائحة العطور ودخان السجائر وأنفاس السكارى من زبائن (كوكي) السعداء الذين بلغت ببعضهم النشوة حدا جعلهم يجارون بالغناء مع الموسيقى وكل منهم يترنم باللحن الذي يحسب أن الفرقة تعزفه .

أما هؤلاء الزبائن السعداء فقد كان الرجال منهم من ذوي الوجوه الشاحبة التي رسم عليها السهر خطوطا لا تمحى من التجاعيد ، والعيون الساهمة التي تطل منها نظرات جوفاء تارة ، وتشع منها..

ومضات من النهم والاشتهاء تارة اخرى ..

على حين كانت النساء من اللاتي يلبسن أدنى قدر من الثياب ويحتسين أوفى قدر من الشراب .. من ذوات الوجوه المصبوغة ، والشعور المتهدلة ، والعيون الناعسة الذابلة ..

وفي ذلك الجو الغريب جلس " لوبين " بمفرده في صبر وحلم لا ينفدان ، إلى المائدة التي اختارها لنفسه ، وقد غفل عن أن العميل الذي لا يجالس فتاة ولا يطلب زجاجة من الشراب ثم يحتل المائدة بمفرده ، ليس بالذي تنظر إليه إدارة الملهى نظرة رضا او ترحب ببقائه طويلا ولذلك لم يلبث ان تقدم إليه الساقي وهو رجل شديد النحول ، ارتسمت في محياه سمة ثابتة من الاكتئاب قائلا :

- هل يريد السيد شيئا آخر ؟

فمد " لوبين " ساقيه إلى اقصى ما يسمح به المكان وهش في وجه الساقي قائلا :

- كلا .. ولكن دع لي عنوانك حتى إذا أردت شيئا آخر ارسلت لك رقعة بالبريد .

فحدجه الساقي بنظرة يتطاير منها الشرر .. ولكن نظرته ارتطمت بمنكبي "لوبين " العريضين وعضلاته المفتولة ، وعينيه الساخرتين اللتين يبدو في زرقتهما الصافية وميض كحد النصل ، وأساريره المتناسقة التي تنم عن أن صاحبها ممن يعدون النضال والعراك من الفنون الجميلة .. وعندئذ استلانت نظرات الساقي وبدت فيها الدعة والاستكانة ، وقنع من الغنيمة بالإياب ..

وما كان " لوبين " بالذي يحتمل كل هذه المضايقات لغير سبب قوي .. وما كان ليصبر في جلد على البقاء في ذلك الوكر الذي لم يسمع باسمه قط من قبل ، إلا لأن صديقه "هاملتون " مدير مكتب المخدرات العام تحدث إليه تليفونيا من واشنطن منذ بضعة ايام وذكر له شيئا عنه ..

واستجمع الساقي شجاعته بعد برهة وعاد بوجهه الكئيب قائلا :

- هل ينتظر السيد أحدا ؟ ..

- نعم .. انتظر " كوكي " .. فمتى تؤدي دورها ؟

- إنها لا تغني في وقت محدد ، وإنما تبكر احيانا وتتاخر احيانا اخرى.

- حسنا .. سوف أنتظرها .

ولم تبق في الملهى مائدة خالية ، ووقف كبير السقاة عند المدخل يعتذر لبعض القادمين وهو يشير بيده إشارة شملت القاعة كلها ، كانما يريهم انها مليئة بالرواد .. فلم يفت ذلك المنظر " لوبين " كما لم يغب عن نظرات الساقي الكئيب فتقدم نحو " لوبين " قائلا في استكانة:

- هل يريد السيد قائمة حسابه ؟

وشفع ذلك بان وضعها أمامه ، ولكن " لوبين " هز راسه في تبلد وقال :

- كلا .. ليس قبل ان اسمع " كوكي " فكيف يمكنني أن أواجه اصدقائي بـ" إنديانا " عندما اعود إلى بلدتي واعترف بانني كنت في "نيويورك " وذهبت إلى قبو " كوكي " دون ان اسمع غناءها ؟ .. وكيف؟..

فقاطعه الساقي – ولكنها ربما تاخرت كثيرا ..

- أعلم ذلك .. الم تخبرني به من قبل ؟

- حسنا .. إنها تقضي معظم الوقت في المقصف الذي انشاته للبحارة حيث تقدم لهم الطعام والشراب ..

ثم أردف بلهجة ذات مغزى وهو يدقق النظر في " لوبين " :

- مجانا .. !!

- ياله من عمل نبيل ! هل لك ان تذكرني بان اغدو بحارا عندما ابعث من جديد !

- ماذا ؟

- إنني أرى الأنوار الكاشفة قد اضيئت ، فهل هي (كوكي) ؟

- كلا .. قلت لك إنها تحضر متاخرة !

- حسنا .. لابد انها في الطريق الآن .. هل لك أن تنحرف إلى اليسار حتى يمكنني أن أرى المسرح ؟

فرفع الساقي وجهه إلى السماء كانما يستلهمها الصبر ، ثم

انسحب في ياس .. على حين أعلن مدير المسرح في الميكروفون ظهور المغنية الجميلة مس " " افالون دكستر " .

وكان " لوبين " يتوقع ان يرى ويسمع واحدة من تلك (النمر) الثانوية التي تقدمها الملاهي بين أدوار الرقص وبين النجمة الأولى لتملأ الفراغ.. ولكنه الفى نفسه ينظر ويصغي في إمعان إلى تلك الفتاة البارعة الحسن التي تقف وسط دائرة الضوء وهي تشدو في صوت رخيم مؤثر وقد تهدل شعرها الذهبي فوق كتفيها ، على حين تدلت منه خصلة كبيرة فوق عينين واسعتين عسليتين تشعان سحرا وفتنة ..

ومضت الفتاة تغني انشودة ثانية ثم ثالثة وسط عاصفة من التصفيق والهتاف وصياح الحضور باستعادة ما تغنيه حتى انسحبت أخيرا وخلفت " لوبين " في عجب وحيرة من الأثر الذي تركته في نفسه بجمالها ورخيم شدوها .. فما كان يتوقع ان يجد شيئا كهذا في (قبو كوكي) الذي حضر إليه ليرى شيئا معينا .. وقد رآه ! .

ولم يفق من ذهوله إلا عندما سمع المذيع في الميكروفون يقول :

– والآن أيها السيدات والسادة نقدم لكم السيدة التي كنتم في انتظارها جميعا فاعتدل في مجلسه ، إذ ادرك انه يوشك ان يرى (كوكي) .

* * *

وكانت (كوكي) قد نهضت من مائدة مجاورة للمسرح فارتقت الدرج المؤدي إليه ولم يملك " لوبين " نفسه من الابتسام إذ كانت حركتها هذه اشبه ببروز فرس البحر (سيد قشطة) من بركة عميقة .

وعاد " لوبين " ينظر ثانية إلى المائدة التي كان قد رآها من قبل بنظرة عابرة دون أن يعرف (كوكي) نفسها ، إذ حرص الساقي الخبيث على كتمان هذه الحقيقة عنه ، وقد استرعى ناظريه الشخصان اللذان كانا يجلسان معها .. وكانا رجلا وامرأة ..

كان ابرزهما انوثة ، ذلك الذي يرتدي سراويل الرجال شخصا يدعى "فرديناند بير فيلد" ، ذا وجه اشبه بوجه فتاة ، دقيق الملامح غض البشرة تعلوه خصلة من الشعر الذهبي تحتها حاجبان دقيقان أجاد

الملقط رسمهما فاستدارا فوق عينين زرقاوين باهداب كستنائية طويلة ، وانف روماني دقيق ، وفم مستقيم رقيق الشفتين تبدو حمرتهما القانية كانهما صقلتا بالطلاء للتو ..

اجل .. فقد كان مستر "بيرفيلد " .. فنانا ..

اما رفيقته فكانت امراة ذات شعر خشن كالاسلاك المشدودة ، وعينين يبدو فيهما الظما واللهفة ، وشفتين برتقاليتي اللون .. عرف " لوبين " انها تدعى (كاي ناتيللو) ، وانها تقرض الشعر ..

وتحول نظر " لوبين " إلى (كوكي) ثانية ، فهي التي تهمه اكثر من غيرها إذا كان ثمة أساس لما سمعه عنها وجعله يدرك انها سوف تلعب دورا في حياته.. كانت تجلس إلى المعزف تمر عليه باصابعها في انتظار هدوء عاصفة الهتاف والتصفيق التي استقبلت بها ، وعلى وجهها المكتنز ابتسامة عريضة ..

اجل .. فإن (كوكي) لم تكن تقل عن مائة وثلاثة عشر كيلو جراما في الوزن يبدو وجهها كطبل كبير نقشت عليه عينان وانف وشفتان ..

ولكن الذي اثار عجب " لوبين " إنما هو مراى يديها وهي تضعهما امامها على المعزف فهما لا تشبهان ايدي النساء قط وإنما كانتا عريضتين طويلتي الأصابع اقرب إلى ايدي اقوياء الرجال ، بحيث خيل إلى " لوبين " انهما يدا احد عمال المناجم ، او احد المصارعين ، او يدا قاتل عريق اعتاد الخنق بهما..

ولقد احس " لوبين " نحوها نفورا شديدا لعل بعضه يرجع إلى تناقض الأثر الذي احدثه في نفسه مرآها بعد (افالون دكستر) ، ولكنه ايقن بان امامه امراة شريرة لا تقل خطرا عمن قاتلهم من اشرار الرجال .

* * *

وعلى الرغم من ذلك ظل محتفظا بهدوئه وبسمة البراءة التي تكسو اساريره وهو يرقبها عندما ادنت فمها من الميكروفون الموضوع امامها وراحت تقول في صوت عميق مسيطر :

– طاب مساؤكم ايها الأصدقاء .. إنني آسفة حقا إذ تاخرت قليلا ، ولكني اعنى ببعض أولادنا الذين تمر بهم محنة قاسية ، اعني اولئك

الأبطال الذين يعملون في سفننا وقوافلنا ، ويجتازون أشد الأخطار في الحرب والسلم على السواء .. رجال البحرية التجارية ..

واستطردت (كوكي) وهي تشير بيدها عبر القاعة :

- وإني أحب بهذه المناسبة أن تحيوا اثنين من أشجع الأبطال الذين مخروا عباب البحار السبعة .. " باتريك هوجان " و "اكسيل اندرمير "..

وتحول الضوء الكاشف نحو شابين يجلسان إلى مائدة جانبية ، فنهضا في حياء وتكلف ليردا تحية الجمهور على حين ارتد الضوء ثانية إلى (كوكي) وكانت على أساريرها ابتسامة عريضة كانما يرجع إليها الفضل في عودة القافلة سالمة إلى الوطن ..

وتابعت حديثها في الميكروفون قائلة :

- وتقديرا لضيفينا العزيزين ، سوف نبدا باغنية الملاح الأعزب الكهل ! ..

* * *

وقد كان يكفي " لوبين " أن يسمع المقاطع الثلاثة الأولى منها ليدرك انها من الأغاني المبتذلة التي تنتقى كلماتها في مهارة بالغة لتحتمل وجهين من المعاني أدناهما إلى الفهم يرمي إلى تنشيط الرجال وإثارة غرائزهم ..

وما من عجب بعد ذلك ان تلقى (كوكي) كل هذا النجاح ، وتقابل اغنيتها بالتصفيق والهتاف وصيحات الجمهور بطلب الإعادة .

وازداد " لوبين" مقتا لها وحقدا عليها ..

وتضاعف هذا المقت عندما تبين مبلغ ما افسدته من روعة غناء افالون دكستر " وجميل شدوها ..

وعندئذ سمع الساقي الكئيب يقول بغتة :

- لقد احضرت لك كاسا مزدوجة يا سيدي .. فهل يرضيك ذلك ؟ ..

- بلا ريب .. فهذا ما كنت انتظره طول المساء ..

وتذوق "لوبين" ذلك الأثر الذي كان في قاع الكاس ، فوجد له طعم الشراب الاسكتلندي ، ومن ثم ابقاه فوق لسانه في احترام وتبجيل وهو يضن بان يزدرد ريقه ثم راح يجيل نظراته حواليه وهو يدعو الله ان يرى " افالون دكستر" في ركن من القاعة .

وكان من حسن حظه أن رآها !

ولا ريب أنها تسللت إلى القاعة من باب خفي .. ففي تلك اللحظة بالذات كانت تنحني إلى الأمام لتجلس ، عندما مر بها طرف شعاع الضوء ، فلمح " لوبين " رأسها ..

ولكنه كان أشد اهتماما بالمائدة التي جلست إليها ..

فقد كانت قريبة منه ، كما كانت هي المائدة التي ظل يوليها اهتمامه منذ أن اختار مجلسه بالقرب منها .. فهي مائدة الرجل الذي جاء لوبين " إلى (قبو كوكي) خصيصا ليراه ..

ولذلك كانت دهشته بالغة عندما رأى " افالون دكستر " تجلس مع الدكتور "ارنست زلرمان " .

ولم يكن لديه – بعد – ما يأخذه على الدكتور " زلرمان " . .

فالرجل طبيب نفسي يحمل إجازات علمية قانونية ، ويتخذ عيادته في "بارك افنيو" ويكثر من الظهور في أرقى المجتمعات ، وينتقي عملاءه من أرفع الطبقات قدراً .. كما لم يكن " لوبين " يأخذ عليه بالمثل انه فارع الطول منتصب القامة ، مهيب الطلعة ، اشتعل راسه شيباً قبل الأوان، نو وجه ناعم البشرة ، وفم رقيق الشفتين ، وانف دقيق ارستقراطي وحاجبين كثيفين حالكي السواد ، وعينين عميقتين ثاقبتي النظرات غارتا قليلا بين وجنتيه البارزتين .. كلا .. لم يكن " لوبين " ياخذ عليه شيئاً من ذلك كله ، بينما كان يرقبه من طرف خفي وهو يجلس وحيداً إلى مائدته كما يفعل هو.. ولكن كانت لديه اسباب أخرى تدفعه إلى بغض الدكتور " زلرمان "، . والحنق عليه .. منها ما سمعه من صديقه " هاملتون " عندما خاطبه تليفونيا من "واشنطن" ، ومنها ما عرفه من تحرياته الخاصة .. فقد كان سلوك الطبيب النفسي معيباً، لا يتفق ومكانته الاجتماعية ، إذ كان زير نساء لا يتورع عن غشيان دور اللهو مثل (قبوكوكي) ؛ وعندئذ تراه يجالس الفتيات ويداعبهن ويهمس في آذانهن ويربت بيده الرقيقة اكتافهن وظهورهن العارية ..

ومن ثم اضطرم حقد " لوبين " عندما رأى (افالون دكستر) تجالس هذا الطبيب المتهتك دون رواد الملهى جميعا .. ونسي " كوكي " واغنيتها ، ولم يعد يهتم بشيء إلا بمراقبة الدكتور " زلرمان " وترقب

مسلكه مع الفتاة.. وقد دهش " لوبين " حقا لشعوره هذا ، فما الذي يعنيه من تحبب الطبيب إلى المغنية ؟ ..

وما أدراه أنها سوف تستجيب لمداعباته وهمساته ؟ ولكنه كان قد أعجب بالفتاة ، وبمظاهر البراءة التي ترتسم على أساريرها ، فنهشت الغيرة فؤاده ..

* * *

وكان يتقلب على الجمر وهو يراها تدفع مخالب الطبيب مرة بعد الأخرى عن ذراعيها وكتفيها ، أو عندما دفعت رأسها إلى الخلف في نفور واشمئزاز استنكارا لأمر لا ريب أن "زلرمان" كان يهمس به في أذنها ..

ولم يعد "لوبين" يتمنى إلا أن تتاح له الفرصة ليظهر استنكاره لمسلك الطبيب الشيخ المتصابي ، ونفوره من أعماله جميعا ..

وقد أتيحت له تلك الفرصة ..

فبينما كانت (كوكي) في ذروة أغنيتها الرقيعة ، رأى " لوبين " يد "أفالون دكستر " ترتفع ثم تهوي في صفعة مدوية على وجه الطبيب الوقور .. صفعة لم يسمعها أحد في الملهى إذ ضاعت وسط الهتاف والتصفيق ، ولم يرها سوى "لوبين " الذي كان منصرفا بكليته إلى الطبيب ورفيقته .. كما رأى الفتاة تنهض غاضبة و "زلرمان" يمسك بها من ذراعها في قوة ويعيدها إلى مقعدها قسرا ..

وعندئذ تمطى " لوبين " ونهض في هدوء ، فشق طريقه وسط الموائد في خطى خفيفة كالفهد .. ولم يبال بانتهاء (كوكي) من أغنيتها ، ولا بإضاءة الأنوار في القاعة ، ولم يكترث بالأنظار التي سوف تتجه نحوه .. فقد تسلطت عليه فكرة واحدة ، هي التي مضى لتنفيذها ..

وفي حركات وئيدة ، اتجه " لوبين " نحو الدكتور " زلرمان " ،

وأمسك بتلابيبه ، فرفعه من مقعده ، والرجل يحملق النظر إليه دهشة ، بينما كان " لوبين " يقول :

– ما كان ينبغي لك أن تفعل شيئا كهذا ! ..

فراح الدكتور " زلرمان" يحدق النظر إلى العينين الزرقاوين اللتين تبدو فيهما لمحة غريبة من السخرية والتهكم ، واستولى عليه ذعر

مباغت ظهر اثره في الحركة التي جذب بها نفسه من قبضة " لوبين " وهو يستدير ناحيته .. ولكن "لوبين " صوب إلى وجهه لكمة هائلة أصابته فوق عينيه وشفعها باخرى استقرت فوق فمه ، وإذا بالدكتور " زلرمان " يتهاوى فوق مقعده وسط رنين الأواني وصوت الزجاج المحطم ، عندما انقلبت المائدة ، بينما كان يحاول التشبث بها..

ووقف " لوبين " امامه يحدجه بنظرة قاسية ، قائلا :

- حسنا .. لعل في هذا درسا ينفعك !

- ٢ -

ران الصمت العميق لحظة على القاعة ، كما لا يحدث قط في ملهى كهذا في اثناء ساعات العمل ، وما لبثت الضجة ان انبعثت من جديد ، إذ اندفع الحضور واقفين بغتة ، يدققون النظر ، وارتفع صوت سقوط المقاعد ، وهرع السقاة والخدم إلى المكان الذي نشب فيه العراك .

ولكن " لوبين " لم يعبا بشيء من ذلك ، كانه لم يشعر بما اثاره في القاعة ، والتفت نحو " افالون دكستر " قائلا :

- إنني لشديد الأسف .. وارجو الا يكون ثوبك قد سقط عليه شيء

فرمقته بنظرة غير مستقرة ، كانت فيها ومضة من الدهشة الممزوجة بالرضا ، تخالطها لمحة من الخوف والقلق ، وما لبثت ان افترت شفتاها في غبطة وغمغمت :

- شكرا لك ..

وفي تلك اللحظة كانت الحملة التاديبية قد وصلت إلى المكان الذي يقف فيه الثائر ، ممثلة في شخص كبير السقاة عريض المنكبين مفتول الذراعين الذي امسك بذراع " لوبين " قائلا في خشونة :

- ما هذه الضجة كلها ؟

فاجابه في مرح :

- لقد كنت ادرب صديقي هذا على رقصة جديدة .. فهل تحب ان أعلمك إياها ، أم تدع ذراعي ؟

واحس الرجل بعضلات " لوبين " الفولاذية تختلج تحت يده ، كما رأى نظراته الهادئة تحدجه في صرامة فتردد قليلا ..

وعندئذ قالت " افالون " :

- لا باس يا "جو" .. دعه ..

وخلص " لوبين " ذراعه في رفق وهو يخرج علبة لفافاته ، ثم راح يتفرس في الدكتور " زلرمان" في تلذذ ومرح ، وهو يجاهد في التخلص من غطاء المائدة الذي التف حوله في اثناء سقوطه .. واستطرد لوبين":

- ومن سوء الحظ ان صديقي لم يستغرق وقتاً طويلاً في التدريب ، فسقط واصيب وجهه .. وهي حوادث كثيرة الوقوع كما تعلم ..

ونهض الدكتور " زلرمان" على قدميه بمعاونة احد السقاة ، وقد تورمت عيناه وانساب خيط من الدماء من فمه ، فراح يتحدث في غير وعي إلى " لوبين " كشخص اصابه مس من الجنون ، ولم يكف عن هذيانه حتى قدمت " كوكي " بنفسها وشقت لنفسها طريقاً وسط حلقة المحتشدين . وما كان " لوبين " يتوقع ان تكون على هذه الدمامة بعد ان غاضت ابتسامتها التقليدية وبدا وجهها صارماً عبوساً ، كما تالقت غضباً في نظرات باردة كانهما عينا افعى شديدة الضراوة وهي تقول لـ "زلرمان" :

- ما الذي حدث ؟

فانطلق الطبيب صاخباً وهو يضغط على كلماته ضغطاً شديداً :

- لقد اعتدى علي هذا الوغد الوقح لغير سبب البتة ..

فقاطعه " لوبين " قائلا :

- او لسبب يسير ، هو انني رايتك تجذب مس " دكستر " من ذراعها في خشونة ..

- لأنها صفعتني ..

- ولقد احسنت في ذلك .. فإنني رايت ما كنت تفعله معها ..

فراحت " كوكي " تنقل نظراتها من وجه إلى آخر ، حتى استقرت على الفتاة قائلة :

- لقد فهمت .. ما الذي شربته الليلة يا " افالون " ؟

فتدخل " لوبين " قائلا :

- الواقع يا " كوكي " ان المرء إذا اراد ان يثمل من المشروبات التي

تقدمينها هنا ، لوجب أن يظل يشرب حتى الصباح ..

- أحب أن أعلم بحق السماء كيف جرؤت على إهانة زبائني ؟.

وتدخل " لوبين" مرة اخرى منذ رأى الابتسامةالخفيفة على شفتي الفتاة :

- إنه هو الذي اهانها اولاً يا " كوكي " .

فصاح " زلرمان " :

- ايها الكاذب القذر !

ولكن " لوبين " استطرد في هدوء :

- وبذلك دفعها إلى صفعه .. فقد رأيت بنفسي ما حدث كله .. ولست ادري لماذا لا تامرين بطرده من المكان ، حتى يمكننا الاستمرار في بقية البرنامج ؟.. فحدجته "كوكي " بنظرة وقالت :

- لا تتدخل في شؤون غيرك من فضلك ..

ثم استدارت نحو الفتاة قائلة :

- أيتها الحمقاء السكرى ! لقد ضقت ذرعا بسخافاتك واغنيتك الكريهة. فلم تنتظر " افالون " بقية ما تريد المراة أن تقوله ، وإنما توجهت عيناها إليها من فرط الغضب وصاحت :

- بل لقد ضقت انا ذرعا بهذا الوكر اللعين الذي تديرينه ويمكنك أن تذهبي وعملك إلى الجحيم ! .

ثم استدارت في عنف واسرعت خارجة ، وعندئذ ران على المكان كله صمت عميق كما حدث أول مرة ..

وواجهته " كوكي " لحظة ، ثم قالت :

- من أنت بحق السماء ؟

- اسمي " أرسين لوبين " ..

قالها في سهولة ورفق كما ينطق باي اسم عادي .. ومع ذلك فقد كان لهاتين الكلمتين من الأثر ما يفوق السحر ، إذ تراجع كبير السقاة العملاق إلى الوراء خطوة وهو يغمغم :

" يا إلهي " .. بينما جمدت يد الدكتور " زلرمان " التي كان يمسح بها الدماء المنسابة من ركن فمه ، وظل على هذا الوضع لا يحير حراكاً .. في حين سكنت " كوكي " في مكانها وقد شلت حركتها ولم يتغير فيها

سوى نظراتها إذ خالطتها لمحة من القلق والاضطراب ..
وأردف " لوبين " قائلا :
– وإنه ليسرني ان قابلتكم جميعا الليلة .. ولكني أحب الآن ان ادفع حسابي وأخرج إلى الهواء الطلق ..
وما كاد يتم عبارته حتى كان الساقي الكئيب يمد إليه يده بقائمة الحساب ..
ولكن " كوكي " بدات تقول في صوت يسيل رقة وتوددا :
– مهلاً لحظة يا مستر " لوبين " .. فمثل هذه الأشياء تحدث كثيراً في النوادي الليلية ، وكلنا نعلم ذلك .. وما قصدت البتة ان أسيء إليك ولكني كنت شديدة الانفعال مما حدث . فهلا جلست وتناولت معي كاسا من الشراب ؟
فاجابها في هدوء :
– كلا ، شكراً .. لقد تناولت الليلة من شرابك ما فيه الكفاية !
ثم أخرج من جيبه ورقة مالية القى بها إلى الساقي في حركة تنم عن أنه لا يريد بقيتها بينما كانت "كوكي " تقول :
– لا ريب أنك كنت تعتقد صواب ما فعلته ، ولكنك لو علمت يا مستر " لوبين " اي عناء القاه من تلك الحمقاء الصغيرة ، فإني واثقة ..
– بل إنني واثق تماما من ان " افالون " على حق ، وسوف يكون لي شأن مع الدكتور " زلرمان " يوماً من الأيام ..
ثم استدار على عقبيه ، ومضى يجتاز القاعة بخطواته الطويلة وقد بدا عليه الضيق والملل من المكان ، كما كان يود بكل جوارحه ان يلحق بالفتاة في الطريق قبل أن تختفي عن الأنظار . وكان يعبر الباب عندما التقى بـ"فرديناند بيرفيلد " في طريقه إلى المغسل ، فامسك بيده قائلا في مرح :
– الا ترى يا عزيزي " فردي " أن طلاء الأظفار الذي تستعمله لا يلائم بشرتك ؟ حبذا لو انتقيت طلاء بنفسجي اللون . فتململ مستر "بيرفيلد" وجذب يده الرقيقة وهو يغمغم :
– آه .. ! أنت !
فترك " لوبين" يده وأسرع إلى الطريق ..

وكانت " افالون " واقفة على الإفريز تتحدث مع حارس المبنى وهو يمسك لها باب السيارة التي كانت تستقلها عندما خرج " لوبين " من الملهى .. وقبل أن يستطيع الحارس إيصاد الباب كان " لوبين " يصعد إلى السيارة ويجلس إلى جانب الفتاة ورأى الحارس أنها لم تعترض فاوصد الباب ومضى لشأنه ..

وراحت الفتاة تنظر إليه في صمت ..

وكان " لوبين " يتأملها وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة ...

واخيرا قالت :

– طاب صباحك .. أخشى ان اكون قد افسدت عليك سهرتك ..

– بل إنني الملوم .. وقد لحقت بك إذ ظننت أنه يحسن بي أن أقدم لك كاسا من الشراب في مكان آخر لنزيل طعم ذلك الشراب الكريه من فيهينا ..

– شكراً .. ولكني رأيت الليلة ما يكفي من ملهى ليلي واحد ..

فتردد " لوبين " لحظة ثم قال :

– هل تسمحين إذن بان اصحبك حتى مسكنك ؟

فتفرست فيه بعينيها البريئتين برهة ، قبل أن تقول :

– بلا ريب . هيا بنا .

ثم ذكرت للسائق عنوانها بميدان " ستون " .. فما كادت السيارة تدرج بهماحتى سالها " لوبين " في اهتمام :

– أو تقطنين هناك ؟ .. لا ريب انك تربحين كثيراً ..

– إن المسكن الذي أقطنه ليس مرتفع الأجر .. كما أنني اشتغل بانتظام ..

– ارجو الا اكون قد تسببت في تركك لعملك ؟ ..

– اه ! .. لا .. سوف احصل سريعا على عمل آخر .ثم إنني كنت اتوق إلى شيء من التغيير على كل حال ، وكان ينبغي أن أترك " كوكي " عاجلا او اجلا..

وعادت ترمقه بنظراتها في دهشة بالغة ، واردفت :

– ولكنك لم تخبرني من انت ؟ ..

– اسمي " ارسين لوبين " ! ..

فانتفضت الفتاة ، وغمغمت :

- آه ! .. كان ينبغي أن أدرك ذلك . فما من أحد يجرؤ على فعل ما فعلت ولكن هل عرفوك ؟

- لقد أخبرتهم باسمي ..

- شد ما وددت أن أرى وجه " كوكي " وقتئذ !

- كانت أشبه بضفدعة تلقى حوتا ..

فقهقهت الفتاة في جذل .. ثم راحا يتحدثان حتى بلغت بهما السيارة مسكنها ، فقالت وهو يعينها على الهبوط :

- هلا أتيت لحظة ، فأقدم لك كأسا من الشراب الحقيقي ؟

- هذا ما أشعر بحاجتي إليه حقا !

ثم سار بجوارها في يسر كأنهما قد تعارفا منذ عشرات السنين ، لا منذ ساعات .

* * *

كانت حجرة الجلوس فسيحة هادئة ذات أثاث وثير ، بها خزانة للكتب وجهاز راديو ومعزف صغير ، تطل نوافذها على حديقة كبيرة متصلة بالنهر .

وما كاد " لوبين " يلجها حتى أحس بالهدوء والدعة ، خصوصا وأن ضوضاء الطريق لا تصل إليها وكأنهما قد خلفا المدينة وراءهما بمئات الكيلومترات .

ومضت " أفالون " تعد الشراب ، فذهب " لوبين " إلى خزانة الكتب وراح يقلب في محتوياتها فألفاها تحوي مجموعة من كتب الأدب الرفيع لأشهر المؤلفين العالميين أمثال " برناردشو " و " إميل لودفيج " وأمثالهما .

فلما عادت قال لها :

- يبدو أنك تحبين القراءة .

- ينبغي أن أغذي عقلي بين آونة وأخرى .. وإن كنت من مغنيات النوادي الليلية ، ولكني درست بمدرسة " سميث " ونلت شهادتي من جامعة " كاليفورنيا" ولذا لا حيلة لي في الأمر إذا شعرت أحيانا بالحاجة إلى القراءة والابتعاد بفكري عن هذه الأوكار .

فابتسم " لوبين " وقال :

- إنني ادرك ما تعنينه تماما .

ومضى إلى المعزف ، فوضع كاسه فوقه ثم جلس امامه وراح يداعب الأوتار باصابعه في لين .

وكف عن العزف فجاة ، وتناول كاسه ، ثم مضى إلى حيث كانت " افالون " جالسة فوق الأريكة فجلس بجوارها وسالها :

- ما الذي تعرفينه عن " زلرمان ؟

- لست أعرف عنه الكثير .. فهو طبيب يقطن "بارك افينو" ويقال إنه نمسوي فر من " فيينا " قبل ان يحتلها الغازون بقليل لاجئا إلى أمريكا).. ولكنه لم يفقد شيئا من ثروته في اثناء فراره .. كما انه يربح كثيرا هنا .. ولم اذهب إلى عيادته قط ، ولكن يقال إنها اشبه باحد معارض هوليود ، كما أن سجل عملائه ، ومواعيد زياراتهم اشبه بسجل التشريفات في البيت الأبيض ، لا يحوي إلا الأسماء اللامعة الرنانة .. ولديه ممرضة شقراء لاستقبال الزوار ربما كانت مهمتها ان تزيد الاضطرابات النفسية للذكور منهم ، قبل أن يبدءوا العلاج حتى يطول أمده ، ثم إن له مصحة خاصة في ولاية (كنيكتيكت) يقال إنها من احسن المصحات وافخمها في الولايات المتحدة ، يلجا إليها العظماء من المرضى ليتخلصوا من قيود المجتمع والتقاليد فيصنعوا ما يطيب لهم ان يصنعوه ثم يؤدوا بعد ذلك اي ثمن يطلب منهم اداؤه.

- أتعنين انهم إذا طاب لهم تمزيق ثياب إحدى الممرضات او سكب الحساء فوق راس احد الخدم ، فعلوا بغير حرج ، مقابل ثمن معين ؟

- إنه شيء كهذا فيما يخيل إلي .. ويقول الدكتور " زلرمان " إن معظم الاضطرابات العقلية والنفسية تنشا من كبت بعض الناس رغباتهم الشخصية ، مضطرين إلى هذا الكبت بحكم التقاليد التي يخضعون لها، .. ومن ثم فإن الطريقة المثلى لعلاجهم هي إبعادهم عن هذه التقاليد ورفع الحظر عنهم لفعل ما يشتهون .. فإذا ما اطاعوا غرائزهم ووحي نفوسهم، واشبعوا مواطن الضعف من عقولهم ، استطاعوا بعد ذلك بدء حياتهم من جديد ، وشفوا من امراضهم .

فابتسم " لوبين " قائلا :

- يبدو انه لا يكبت رغباته الشخصية كما رايت الليلة ! .

فهزت الفتاة كتفيها في غير اكتراث ، وقالت :

- إنك تلتقي بامثال هذه الزواحف في النوادي الليلية دائما وكان ينبغي أن أجاريه وان اكظم غضبي .. ولكن يا للجحيم لم يكن في وسعي أن أصبر أكثر مما صبرت .

- لا ريب انك قابلته من قبل ؟

- بالتاكيد .. فإنه يرتاد الملهى دائما .. وقد قدمته لي " كوكي " نفسها ، فهو أحد المقربين إليها .

- هكذا فهمت .. ولكن هل تحبه ، أم انه يعالجها ؟ في رايي أن التوغل إلى أعماق افكارها ونفسيتها ، قد يؤدي إلى نتيجة مثمرة .

- تماما .. ولكني لن افعل ذلك إلا إذا كنت مزودة بوسائل الدفاع .

فقهقه " لوبين " وقال :

- إنها اشبه بذئبة ضارية ، اليس كذلك ؟

- بلى .. ومع ذلك فإن الناس يحبونها ..

- ربما كان الأمر كذلك .. ولكنها أوحت إلي بشعورعجيب لا أدري كنهه.. فمنذ ان رايتها احسست بانها اول امراة التقي بها ، فشعرت بانها ملأى بالشر والرذيلة .

- لعلك على حق .. فهي امراة مخيفة .

- وإني لأتخيلها تحمل السوط في يدها في احد مراكز الرقيق الأبيض .. أو تشرف على ملجا للأطفال لتخنقهم واحدا بعد الآخر وتدفنهم في الفناء الخلفي.

فضحكت " افالون " ملء شدقيها ، وقالت :

- ربما لم تكن مخطئاً .. فلم تظهر في المدينة إلا منذ سنتين ، ولا يعرف أحد على وجه التحقيق ما كانت تفعله من قبل .. لعلها كانت كما تقول قبل أن تجد وسيلة أخرى لكسب المال أسلم عاقبة واكثر امنا ..

فعبس " لوبين " قليلاً وقال :

- ومع ذلك فقد اخبرني الساقي عن ذلك المقصف الخيري الذي انشاته للبحارة .

- تعني " مقصف كوكي " ؟ نعم .. إنه احد مبتكراتها الأخيرة .

- هل هو احد فروع إدارة الترفيه التي تشرف عليها الحكومة ؟
- كلا ..كلا .. إنها مؤسسة قائمة بذاتها تنفق عليها " كوكي " من مالها الخاص ، وتقدم فيها القهوة والشطائر والحلوى للبحارة ، كما أعدت بعض الفتيات لخدمتهم والقيام على راحتهم ..
- هل ذهبت إلى هناك ؟
- لقد غنيت هناك مرتين او ثلاثا .. وهو في الشارع الخمسين بالقرب من "الافنيو" التاسع .
- هل افهم من ذلك انها لا تربح شيئا من هذا المقصف ؟ اتراها تحب الخير لذاته ام انها وسيلة للإعلان عن نفسها ، ام لها ولع خاص بهؤلاء الفتيان الشجعان الذين يركبون الأخطار ؟
- ربما كانت هذه الأسباب جميعها مجتمعة .. او لعل ركنا في ضميرها قد استيقظ اخيراً فاحبت ان تكفر عن بعض سيئاتها .. ومهما يكن من امر فإنني شديدة الابتهاج لخلاصي منها الليلة .. هلا ملأت كاسينا ؟

فمضى " لوبين" إلى حيث كانت زجاجة الشراب فوق الخوان وراح يصب منها في الكاسين ويمزجهما بالصودا .. وفي اثناء ذلك كان يحس بان حظه قد اشرق عليه الليلة نجم ساطع بزغ فجاة .. فقد راح يلقي اسئلة بريئة المظهر وعلم اشياء كثيرة بالغة الأهمية خلال ساعات معدودات.. وكان المقصف الذي انشاته " كوكي " للبحارة هو المحور الذي تدور حوله افكاره الآن وبوده لو يفهم السر في هذه الأريحية الغريبة .. وبدا له انه قد مضى إلى أكثرمن الخطوة الأولى في سبيل اقتفاء الأثر الغامض الذي كان يحاول تتبعه .

وعاد بالشراب إلى الاريكة واتخذ مجلسه ثانية وبدا يخرج لفافة من علبته عندما قالت الفتاة :

- شد ما أعجب مما جاء بك إلى وكر كهذا في هذه الليلة !
- إنه الفضول ، والحظ السعيد معا .. فقد كنت مع بعض الأصدقاء ولم ترق لي صحبتهم ، فتخلصت منهم وشعرت بالحاجة إلى كاس من الشراب .. ووجدت نفسي وقتئذ امام الباب ، فدخلت .. وكان من حسن طالعي أن رأيتك !. وكان يكذب عليها .. ولكن هل كان في وسعه ان

يصدقها القول في حقيقة السبب الذي جاء إلى " قبو كوكي " من اجله؟..

واستطرد :

- وعندئذ سمعتك تغنين ..

- وهل اعجبك غنائي ؟

- لقد كان سحر " هاروت " !

- هل تعلم انني رايتك قبل ان ابدأ ، فرحت اغني من أجلك ؟ ..

فاشعل لفافته وهو يختلس إليها النظر خلال ومضات الثقاب ثم قال :

- لم اكن اعلم انني الفت النظرإلى هذا الحد !

- اخشى ان تكون كذلك ..

- لو علمت حقيقتي لما احببتني .. فإنني لست من المواطنين المحترمين .. فانا اسطو على الناس وافتح الخزائن وبعض الناس يمقتونني إلى حد يدفعهم إلى ان يرسلوا إلي القنابل داخل طرود البريد ، كما ان رجال البوليس يبحثون دائما عن سبب يتعللون به للقبض علي .. إن حياتي ليست ناعمة أو مستقرة كما تحسبين ..

- وانا بالمثل ليس في حياتي شيء من الهدوء أو الاستقرار . نحن متفقان في ذلك .

فلم يجب "لوبين" وراح ينفث دخان لفافته وهو يحدق النظر إليها وعلى شفتيه ابتسامة شاحبة .

وكان عليه أن يقول شيئا ، ولكنه لم يعرف ما ينبغي أن يقول ..

وانبعث رنين الجرس فجاة فوفر عليه هذا العناء ..

واجفلت الفتاة ، ثم اعتذرت إليه ومضت خلال الردهة الطويلة فسمع صوت الباب يفتح ، كما بلغ مسامعه صوت ذو رنين معدني حاد يقول :

- هاللو يا عزيزتي .. يسرني انني لم أوقظك من نومك .. هل تسمحين لي بالدخول لحظة ؟

وبعد تردد يسير قالت " افالون " :

- بلاريب .. تفضلي ..

وسمع " لوبين " صوت الباب الخارجي يوصد ثم حفيف الثياب ، ثم ذلك الصوت المعدني يقول :

- أخشى أن أكون قد أثقلت عليك ..

- لا تكوني بلهاء .. تعالي ..

وفي اللحظة التالية كانتا في مدخل الحجرة ، فنهض "لوبين" في تراخ بينما كانت " افالون " تقول :

- مستر " ارسين لوبين " .. مس " كاي ناتيللو " .

فحنى" لوبين " رأسه ، على حين استطردت " افالون " :

- تعالي يا " كاي " .. هيا اجلسي وشاركينا في كاس من الشراب .

ولكن " كاي ناتيللو " ظلت واقفة على باب الغرفة وهي تعبث باصابعها في شفتها البرتقالية اللون ، وتتفرس في " لوبين " في اهتمام كبير .. وما لبثت أن قالت :

- لقد رايت مستر " لوبين " الليلة . عند " كوكي " .

فاجابها في تراخ :

- نعم .. لقد أمضيت هناك بعض الوقت ..

فجلست " افالون " وراحت تكرر دعوتها للمراة أن تتناول بعض الشراب، ولكنها لم تتحرك من مكانها ، وقالت :

- شكرا .. ولكني لن أبقى طويلا .. فلم أكن أعرف انك في رفقة أحد..

فهتفت " افالون " ، وقد بدا عليها الحرج :

- دعك من هذا السخف ! .. لماذا حضرت إذن إلا أن تكوني قد اردت الجلوس معي بعض الوقت ؟

- إن لدي رسالة لك ، فإذا سمح مستر " لوبين " ..

- إذا كانت الرسالة من " كوكي " فإن مستر " لوبين " كان حاضرا ما حدث ولن يضيره أن يسمعها .

فترددت المراة برهة وهي تقلب البصر بين " لوبين " و" افالون " ثم قالت:

- حسنا .. إني لم أكن أود الحضور إلى هنا لولا أن رايت اهتمام كوكي " بالأمر .. فقد كانت ثائرة الأعصاب ، أعياها الثمل بحيث لم تتمالك نفسها تماما .. وهذا ما يزيدها أسى وحزنا .. وهي تريد منك

ان تنسي كل ما حدث . اعني انها ترغب في عودتك إلى العمل معها .
فقالت " افالون " في صراحتها المعهودة :
- إذا كانت آسفة حقا فلماذا لم تحضر بنفسها إلى هنا ؟..
- انك تعرفين كيف تكون " كوكي " عندما تثمل .. ولكنها آسفة حقا .
- حسنا .. يمكنها عندما تفيق أن تتصل بي .. فهي تعرف اين تجدني .
- إنني اقدر شعورك تماما يا عزيزتي .. ولكني جئت إليك لأنها رجتني أن افعل هذا نيابة عنها .. وهاانذا ذاهبة الآن ..
فنهضت " افالون " ، قائلة في تودد :
- حسنا يا عزيزتي .. لقد احتملت الكثير من "كوكي" من قبل .. ولكنها الليلة قد جاوزت كل حد .
- إنك تعرفين طبعها .. وإنني اسفة !
وتحولت عيناها الجامدتان إلى " لوبين " ثانية وهي تقول :
- طابت ليلتك يا مستر " لوبين" .. يسرني أن رأيتك ..
ثم تحولت بغتة إلى الردهة خارجة .. فلما أوصدت " افالون " الباب خلفها وعادت إلى الحجرة ، قالت وهي تبتسم :
- حسنا .. هل يرضيك هذا ؟
- كلا ..
- إنها عادة " كوكي " أن تبعث بمن يعتذر نيابة عنها ، إذ يابى عليها كبرياؤها أن تفعل ذلك بنفسها .. ولكن هذه المرة لن ..
- أخشى أن يكون قد فاتك شيء مهم .. فإن " كاي ناتيللو " لم تحضر إلى هنا لتحمل إليك اعتذار " كوكي " .. لقد تركت الملهى بطريقة رائعة ، ثم انصرفت بدوري على الاثر ولذلك أرسلت " كاي " خلفك لترى إن كان ثمة صلة بينك وبيني .. ولم تكن توجد اية صلة بيننا في الواقع ، ولكن ها هي ذي " كاي ناتيللو " قد رات غير ذلك .
فتطلعت إليه الفتاة دهشة ، وقالت :
- وماذا في ذلك ؟
- فيه انني " زججت " بك دون قصد مني في مخاطرة كبيرة ..
فازدادت دهشة الفتاة وغمغمت :

- هل تعني أن ذهابك إلى الملهى الليلي لم يكن بمحض الصدفة ؟
- لعل الأمر كذلك !
فسألته الفتاة باهتمام :
- هلا أخبرتني بحق السماء عما يدور حولي ؟ إنني لا أفهم شيئا .
- ذلك خير لك الآن .. ومهما يكن فإني لم أكن أود البتة أن يراني أحد من أتباع " كوكي " عندك .. أما وقد وقع المحظور فينبغي أن تتخذي حذرك.
- أتعني أن ثمة خطرا يتهددني ؟
- لست أحب أن أخيفك .. ولكن هذا هو الواقع .
- إنني لا أخاف شيئا .. ولكن ألا تخبرني بجلية الأمر ؟
فهز رأسه سلبا وقال :
- لا يمكنني ذلك الآن ، فقد أخبرتك بأكثر مما ينبغي .. ولكن كان يجب أن أحذرك .. ثم إنه كلما قل ما تعرفين كان ذلك أسلم عاقبة لك .. وربما كنت مغاليا في ظنوني ، ولكن الأفضل أن تذكري أنني دافعت عنك في الملهى ثم لحقت بك فرأيت من اللياقة أن تدعيني إلى تناول كأس من الشراب وهذه هي كل الصلة التي تربطنا .
فلم تحر الفتاة جوابا ، إذ عقدت الدهشة والانفعال لسانها بينما استطرد "لوبين" :
- لقد أوشك الفجر أن يبزغ يا " أفالون " ، فهلا طردتني من مسكنك الآن!؟

- ٣ -

استيقظ " لوبين " على رنين جرس التليفون الموضوع بجوار فراشه ، فتناول المسماع وإذا به يسمع قائلا يقول :
- مرحبا .. مستر "لوبين" ؟
وكان الصوت مألوفا لديه ، ولو أن نبراته كانت تختلف عن آخر مرة سمعها فيها .
- أجل .. من المتكلم ؟
- إنني الدكتور " أرنست زلرمان " .. أرجو ألا أكون قد أيقظتك من النوم !

فنظر " لوبين " إلى ساعة يده ، وإذا بها قد جاوزت الظهر بقليل ، فابتسم قائلا :

– آه .. كلا .. كيف حالك ؟

– إنني مدين لك بالاعتذار يا مستر " لوبين " .. فقد شربت كثيرا ليلة الأمس ، وعلى الرغم من أن الشراب لا يؤثر في عادة فإنني لا أدري لماذا كان اثره شديدا بالأمس حتى جعلني أسلك مسلكا لا يغتفر .. أما لهجتي معك ، فإنني افضل أن انسى ما قلته .. وقد استحققت ما حدث لي ، ولو كنت في مكانك لما فعلت غير الذي فعلت انت .

وكان صوت الطبيب يفيض رقة ويقطر عذوبة واسفا .. وهو صوت الرجل الذي يعرف ما يقول ويوحي إليك بالثقة ، ويدعوك إلى الإفضاء لصاحبك بمتاعبك .

فقال " لوبين " في لين :

– لقد كنت اعلم انك لن تحنق علي .. إذ إنني إنما كنت اعمل بوحي تعاليمك!..

فقد فعلت ما اوحته إليك غرائزك كما انني لم افعل إلا ما املته علي غرائزي بالمثل .

– تماما .. إنك على حق تماما .. وإني اهنئك على ذلك ويؤسفني أن يبدا تعارفنا بهذا الحادث .

– لا تفكر في الأمر يا عزيزي الدكتور .. واذا نشطت غرائزك مرة اخرى فإني على استعداد لتجديد التعارف .

– إن اسفي يا مستر " لوبين " اعظم من ان يمكنني التعبير عنه وإن لدي اعترافا ينبغي أن أدلي به .. فالواقع انني من اشد المعجبين بك ، وقد قرات الكثير عنك فكنت دائما أراك نموذجا للتعاليم والمبادئ التي تشير إليها .. للرجل الذي لا يتردد لحظة في تحدي التقاليد وقيود المجتمع إذا عرف أنه على حق .. وقد كان الحادث الذي وقع بيننا بالأمس خير دليل على صدق نظريتي ، ولو ان هذا الدليل كان على حسابي .

– سوف تجد مني المزيد من الأدلة يا عزيزي .

– ما دامت لديك هذه الرغبة يا مستر " لوبين " فإني ارجو أن تتيح

لي شرف مقابلتك مقابلة خاصة .

فنفث " لوبين " دخان لفافته نحو السقف قبل أن يقول :

- أخشى أن تكون مشاغلي .

- بلا ريب .. إنني أعرف كثرة مشاغلك .. ولكننا الآن يوم الخميس ، فلماذا لا نلتقي في عطلة نهاية الاسبوع ؟

- ربما غادرت المدينة خلالها .

- لنتركها إذن للظروف ، ففي وسعك أن تعرف رقم تليفوني من الدليل ، حتى إذا وجدت انك ستبقى في المدينة تفضلت بالاتصال بي لنتناول الغداء معا ، فما رايك ؟

ففكر " لوبين " لحظة ثم قال :

- حسنا .. سوف اتصل بك .

- وسوف أكون تحت تصرفك .

- ولكن كيف عرفت رقم تليفوني ؟

- لقد تفضلت مس " دكستر " فاخبرتني بعنوانك ، إذ إنني اتصلت بها أولا ، بطبيعة الحال ، لأعتذر لها .. وإنني يا مستر " لوبين " يسرني أن استمتع بلقائك مرة أخرى طاب يومك .

- سوف تستمتع بذلك حقا .

وأعاد المسماع إلى مكانه ، ثم استلقى في الفراش يفكر في أحداث الليلة الماضية ، وفي " كوكي " ، والدكتور " زلرمان " و " افالون دكستر " .

وإذ راحت افكاره إلى هذه الأخيرة ، ذكر الفترة السعيدة التي امضاها معها في منزلها ليلة أمس ، قبل أن يعود إلى فندقه ..

وعندئذ مد يده إلى التليفون ، فطلب من عامل الفندق أن يصله برقم ذكره له بعد أن بحث عنه في الدليل ولم تمض لحظة حتى سمع " افالون " تجيبه بصوت لا يزال فيه اثر النعاس قائلة :

- هاللو ؟ .. هذا انت ؟

- نعم .. لقد كنت أحلم بك الآن ، ولكني استيقظت ..

- لماذا لا تعود إلى النوم ثانية ؟

- ليتني استطيع .. ولكن احد الزواحف قد أيقظني .

- مثل " زلرمان " ؟

- نعم .. هل اتصل بك ؟
- بلا شك .. وقد راح يعتذر في حرارة بالغة ، ودعاني إلى تناول الغداء معه .
- لقد دعاني بالمثل ..
- لنذهب معا إذن .. فلن اقبل دعوته إلا على أساس هذا الشرط ..
- سوف القاك بعد قليل .. ولكني أرجو الا تنسي ما قلته لك بالأمس فلا تقبلي دعوة من احد ، ولا تذهبي إلى مكان غريب ، ولا تصدقي شيئا يقال لك فإنك بعد أن شوهدت معي ، واصبحت موضع الشك لصلتك بي ، صرت عرضة لأي شيء قد يحدث لك .. فكوني على حذر .
- سوف أكون ..
- وسأتصل بك فيما بعد ..

وبعد أن تناول الفطور في حجرته ، طلب إلى عامل التليفون أن يصله برقم معين في واشنجتون ، وانتظر قليلا حتى تم الاتصال ، فسمع صوتا اجش يقول :

- إنني " هاملتون " .. ارجو أن تكون قد وفقت في بحثك .
- إنها فكرتك .. وقد زرت الملهى أمس ، ورأيت أصدقاءك ..
- وبعد ؟
- التقيت باجمل فتاة في العالم ..
- إنك تفعل ذلك كل أسبوع .. ولكن تليفون مكتب المخدرات لا شأن له بذلك فاشرح لي حياتك الغرامية في خطاب خاص ..
- إن اسمها " افالون دكستر " ، وهو موجود في الدليل .. وتعمل مغنية .. وقد كانت حتى ساعات قلائل ، تعمل في ملهى " كوكي " .
- إلى أي جانب تنتمي ؟
- لقد قابلتها فقط ، ولكنهم رأوها معي .. فهل لك أن تذكر ذلك إذا ما حدث شيء لي أو لها ؟ . كما قابلت " زلرمان " بالمثل ، فكان لقاؤنا عنيفا إلى حد ما ! ولكنه شخص متسامح لين الجانب إذ اعتذر لي عن ضربي له ، ودعاني للغداء .
- أرجو الا تدعوه بالمثل فتكبدنا نفقات إضافية ..
- يمكنك أن تستنزلها من الأتعاب ! .. هذا كل شيء الآن وساطلبك فيما بعد

ثم اعاد المسماع إلى مكانه .. واخذ يفكر ويمعن التفكير إذ كان عليه أن يربط بين ما سمعه وبين ما راه في الليلة الماضية ، وان يرسم لنفسه خطة العمل بعد ذلك .

استقر رايه على أن أول ما ينبغي الاهتمام به هو ذلك المقصف الخيري الذي انشاته " كوكي " للبحارة .

ومضى إلى خزانة الثياب ، فتناول حقيبة ووضعها فوق الفراش ، ثم فتحها واخرج منها حافظة اوراق جلدية عجيبة لما تحويه في باطنها من ضروب الخدع ووسائل التنكر - فقد كانت بها مجموعة من الوثائق لا ينقصها إلا الاسم .. فمن خطابات مطبوعة يمكن أن تكتب عليها رسائل من اية مؤسسة بين شركة البان نوزي بكانساس سيتي والسفارة اليابانية في انقرة .. إلى مجموعة من بطاقات الزيارة بشتى الأسماء ، وجوازات السفر التي تحمل العلامة المائية لاثنتي عشرة دولة ورخص قيادة السيارات والطائرات وبطاقات التموين ، وتذاكر الاعتماد ، وشهادات الميلاد ، وتذاكر تحقيق الشخصية ، وتصاريح المرور ، وتذاكر العضوية في الأندية والنقابات وشتى انواع التصاريح التي تثبت أن شخصية حاملها من احد رعاة الأغنام في بلغاريا إلى أحد تجار العاج في أواسط إفريقيا .. وفوق هذه وتلك مجموعة رائعة من صور " ارسين لوبين " المختلفة بصورته الطبيعية أو متنكرا بشتى مظاهر التنكر ، متقمصا اية شخصية تخطر بالبال .. ومع هؤلاء جميعا عدد وفير من الأختام والطوابع لتفي باي غرض يمكن أن ينشده.

وجلس " لوبين " إلى مكتبه فراح يعمل في تمهل وتؤدة زهاء ساعة كاملة ، انتهى بعدها من إعداد جميع الوثائق الرسمية اللازمة له متنكرا في صورة ملاح يدعى " توم سيمونز" في البحرية التجارية البريطانية .. وما لبث أن راح يفركها بين يديه ، ويحك أطرافها بالمبراة، وينثر عليها رماد السجائر ، ويبللها بالمياه وبعض قطرات القهوة ، ثم وضعها على الأرض واخذ يطؤها بقدميه عدة مرات ، حتى رثت وتهدلت وبدا عليها القدم وطول الاستعمال .

فلما فرغ من هذه المهمة اتم ارتداء ثيابه وغادر الفندق حيث استقل

الحافلة إلى ميدان (واشنطن) ، ومن هناك راح يسير في تلك الشوارع الضيقة ، حتى وجد الحانوت الذي يقصده ، وهو أحد متاجر الثياب المستعملة .. فزعم لصاحبه انه سيمثل دورا معينا في فرقة تمثيلية للهواة ، ويحتاج إلى ثوب كامل مستعمل لأحد البحارة .. وما لبث أن خرج يحمل لفافة بها ما يتمم شخصية "توم سيمونز " العتيد .

فلما عاد إلى الفندق ، وجد رسالتين تليفونيتين .. كانت إحداهما من "افالون دكستر " إذ سالت عنه ، وذكرت أنها ستتصل به ثانية في الساعة السابعة ..

اما الثانية فكانت من " كاي ناتيللو " .. فقد سالت عنه ولكنها لم تذكر سببا أو تعد بالاتصال به ثانية .

وابتسم " لوبين " إذ راى أعداءه يتحركون من كل ناحية مما ينم على أن تدخله قد اقض مضاجعهم .

ثم طلب رقم " افالون دكستر " ، ولكنه لم يجدها في مسكنها وما لبث ان هبط إلى بهو الفندق ، وقضى ساعتين في الثرثرة مع بعض معارفه حتى بلغت الساعة السابعة والربع عندما اتصلت به " افالون " ، فقالت:

- لقد نسيت يا عزيزي ان اخبرك باني كنت اليوم على موعد مع مدربي لحفظ بعض الأغاني الجديدة ، ولقد غبت عن مسكني طول هذه المدة .

- لا باس يا حبيبتي .. ولكن هل أراك الآن ؟

فترددت الفتاة قبل أن تقول :

- الواقع يا عزيزي ان مدير احد ملاهي (شيكاغو) قد اتى اليوم إلى (نيويورك) وهو رجل اعتاد ان يحضر لسماع غنائي عندما كنت اعمل هناك .. وقد دعاني إلى تناول العشاء معه ، فلم أستطع الرفض ، خصوصا وانني ابحث عن عمل جديد .

- إنني أسف لذلك يا عزيزتي ، فقد كان بودي أن أراك .. ولكن هل تعرفين هذا الرجل جيدا ؟

- أه ! .. نعم .. إنني اعرفه منذ زمن طويل ، وهو شخص وديع لا خوف منه وربما استطاع أن يحصل لي على عمل جديد .. ولكن لا

تقلق ، فلم انس نصيحتك لي بالحذر .. وبهذه المناسبة قد يسرك ان تعلم ان " كوكي " اتصلت بي اليوم .

- هل فعلت حقا ؟

- نعم .. وقد اعتذرت لي اعتذارا حارا ، والحفت في الرجاء بان انهب لأراها .

- وما الذي عولت عليه ؟

- لست أدري بعد .. فإنني امقت هذا الملهى ، وامقت " كوكي " نفسها .. ولكنها من جهة اخرى تعرف كل إنسان في المدينة وليس من الصواب مناصبتها العداء .. إلا انني سانتظر حتى ارى ما يحدث .. ما الذي ستفعله الليلة ؟

- ساقضي الوقت بين الشراب ومطالعة الصحف !

- ارجو ان استطيع الخلاص من صديقي هذا في وقت مبكر ، فإني اريد أن اراك ..

- لماذا لا تتصلين بي عندما تفرغين منه ؟ سوف أكون في الفندق ، ولكن إذا لم تجديني فاتركي رقم تليفون المكان الذي تكونين فيه .

- سوف افعل يا عزيزي .. إلى اللقاء !

وظل " لوبين " يجرع الكاس تلو الكاس ، وقد انصرفت افكاره إلى الدكتور "زلرمان" ، وهو يعجب أشد العجب لماذا يقدم رجل مثله على الاعتذار عن إقحام وجهه في طريق قبضة سريعة منقضة ؟ .. ولماذا يريد الدكتور " زلرمان " ان يوطد معرفته بـ " لوبين " ، الذي لم يكتف بصرعه وإلباسه ثوب الهوان في الملهى وإنما سلبه فتاته ورافقها إلى مسكنها ؟ .. وكيف ادرك الدكتور "زلرمان" ان " افالون دكستر " تعرف رقم تليفون " ارسين لوبين " ؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة لا تدع مجالا للشك في أن الطبيب منغمس إلى ذقنه في تلك المغامرة التي يسعى " لوبين " إلى كشف أسرارها .. وما دام الأمر كذلك فينبغي أن يلقى " زلرمان" نصيبه من الفحص والتمحيص وكشف الستار عنه .

وعندئذ غادر " لوبين " الفندق ، واستقل سيارة إلى عيادة الدكتور "زلرمان " ليقدم على إحدى مغامراته التي ياتيها عفو الخاطر دون

تدبير او ترتيب ، وهو لا يدري إلى اين تقوده .

وكانت عيادة الطبيب في الطابق الثامن عشر ، ولكن " لوبين " طلب من عامل المصعد ان يمضي به إلى الطابق الثاني عشر بعد ان وقع في دفتر الزوار الليليين باسم " جون سميث " .

وما كاد المصعد يهبط ثانية حتى راح يرقى الطوابق الستة العليا في خفة وسكون إلى أن بلغ عيادة الدكتور " زلرمان " ولم يستغرق منه فتح قفل الباب الخارجي سوى القليل من العناء والوقت . وما لبث أن وجد نفسه في حجرة انتظار فسيحة أنيقة الأثاث ، طليت جدرانها بلون أخضر مريح للبصر وللأعصاب وحليت برسوم هادئة توحي للمرء بانه في بيته ..

وراح " لوبين " يفتش الحجرة على ذلك الخيط من الضوء المنبعث من مصباحه الكهربائي فلم يجد فيها ما يستحق الذكر ولم يكن مكتب الممرضة التي تستقبل الزوار يحوي سوى بعض الأوراق والاقلام ، وإصبع لطلاء الشفاه ، ونصف علبة من السجائر ، ونسخة من مجلة "قصص الغرام " .. كما كانت فوق المكتب مفكرة للمواعيد كتبت عليها ثلاثة أسماء .

ومضى إلى حجرة العيادة ، فالفاها متواضعة الأثاث ، خلت جدرانها من الرسوم والنقوش ، ولا تحوي إلا مكتب الطبيب واريكة للكشف ، ومنضدة صغيرة.

ولكن أين الملفات وبطاقات المرضى ؟ .. لا ريب انه توجد بعض السجلات الخاصة بالعمل المعتاد للعيادة ، وهي أشياء لا تدعو الضرورة إلى إخفائها فإن السكرتيرة قد تحتاج إلى بطاقة احد المرضى ، او تدوين بعض الحسابات .

وعاد " لوبين " ثانية وهو يسري كالشبح إلى حجرة الاستقبال حيث راح يدقق الفحص في الركن الذي تجلس فيه السكرتيرة وما لبث أن استقر ضوء مصباحه الرفيع على مقبض معدني صغير في الجدار وفي اللحظة التالية كانت أصابعه تعبث به ، فجذبه نحوه ثم رفعه ، وإذا بجانب من الجدار يرتفع إلى أعلى ، كاشفا عن فجوة كبيرة بداخلها درج للملفات ، وخزانة صغيرة وآلة كاتبة.

وفيما كان يمد يده إلى درج الملفات ليرى ما بداخله ،

انبعث رنين التليفون بغتة في ذلك السكون الشامل فامتدت يد " لوبين " نحوه دون وعي ولكنه ما لبث أن تمهل قبل ان يرفع المسماع ، ليفكر في الأمر .. ولعل الأغلب أن يكون أحد الناس قد طلب رقما خاطئا إذ لا يعقل ان يتصل احد بالطبيب في هذه الساعة المتاخرة .. ولكن إذا لم يكن ثمة خطأ ، وكان الطبيب مطلوبا عن قصد ، فما من ضرر في ان يجيب "لوبين" النداء .. فلن يعرف أحد من الذي أجاب ..

واخيرا قال في صوت تعمد تغييره :

- هالو !

وعندئذ سمع صوتا رقيقا خيل إليه انه قد سمعه من قبل ، يقول في لهفة

- " ارنست " .. يسرني أنك عدت مبكرا ، وسوف أحضر إليك توا فقد تطورت الأمور تطورا سيئا فيما يختص بـ " البرت فولي " ..

ولم ينتظر المتكلم ردا وإنما وضع المسماع في صوت حاد كان له بعض الاثر في إنعاش ذاكرة " لوبين " ، فاسرع يحول مصباحه الكهربائي نحو مفكرة المواعيد ليتحقق من صدق حدسه .. وقد اصاب إذ كان اسم "البرت فولي" أحد الأسماء الثلاثة المدونة بها ، بين اسمي مسز "جيرالد ملدون" ، و" جيمس براثر " .

وتردد " لوبين " بين ان يختفي في العيادة ويبقى بها متلصصا في انتظار الدكتور " زلرمان" ومحدثه ذي الصوت الغامض المالوف وبين أن يبحث عن "البرت فولي" هذا ليعرف منه ما يمكنه معرفته .. وقد رجحت كفة الفكرة الأخيرة لاسيما أن العيادة لم يكن بها مكان يصلح للاختباء ، ولو أن " لوبين " قد حزن لحرمانه من معرفة ما سيحدث عندما يدرك المجتمعان أن الدكتور "زلرمان" لم يكن هو الذي أجاب نداء التليفون ..

واعاد الجزء المتحرك من الجدار إلى مكانه ، ثم غادر العيادة وراح يهبط الدرج في حذر حتى الطابق الثاني عشر حيث استقل المصعد إلى أسفل العمارة إلى الخارج ..

وما لبث أن دخل إحدى الصيدليات وابتاع بعض الأدوية ثم بحث

في دليل التليفون عن عنوان " البرت فولي " حتى وجده .. ثم استقل سيارة ذكر لسائقها العنوان المنشود في " بروكلن" فلم تمض برهة حتى كانت تسرع به إليه .

وفي خلال الطريق راح " لوبين " يفكر في صاحب الصوت الغامض الذي سمعه في التليفون .. وكان من الواضح ان ذلك المتكلم كان يتحدث في لهفة وانفعال ، كما كان يبدو في عجلة من امره كان شرا مستطيرا قد وقع له .. وعلى الرغم مما بذله " لوبين " من الجهد في سبيل تذكر صاحب ذلك الصوت ، فإنه ما لبث أن كف عن المحاولة إذ لم يستطع الوصول إلى نتيجة مثمرة .

واخيرا بلغ المكان الذي يقصده ، فوجده منزلا محترما من العمارات المعدة للسكنى ، فراح يبحث عن اسم "فولي" في صفحة الأسماء الموضوعة داخل الباب ووجده يقطن الطابق الثامن فمضى يرقى الدرج في صمت وحذر .

وإذ بلغ مسكن " البرت فولي " ، لمح شعاعا من الضوء يتسرب من اسفل الباب مما يدل على أن الرجل لم يكن نائما .. ولم يكن قد اعد خطته لما سوف يقوله ، تاركا ذلك لوحي الساعة ، كعادته .. ومن ثم قرع الجرس ووقف منتظرا ولم يسمع اية حركة تنم على ان شخصا ما يهم بفتح الباب لذلك الطارق الليلي بل لم يسمع شيئا البتة .. فطرق الباب ثانية .. ولكنه إذا لم يسمع شيئا بعد ذلك حاول فتح الباب فإذا به يستجيب له سريعا ليجد نفسه في ردهة صغيرة ذات اثاث متواضع ..

وهتف " لوبين " في صوت رقيق " فولي " .. " فولي" ..

ولكن احدا لم يلب النداء ، فدخل " لوبين " واغلق الباب خلفه وراح يجيل نظراته حواليه فراى في نهاية الردهة بابا يؤدي إلى المطهى وآخر لا ريب انه باب حجرة النوم .

ولم يجد احدا في المطهى ، فقرع باب حجرة النوم ، ثم فتحها فالفاها تسبح في ظلام دامس فمضى يبحث عن مفتاح النور حتى وجده .

وما إن سطعت الانوار في الحجرة حتى وجد بها رجلا .. ولكنه كان

جثة هامدة ، وقد انبطح على وجهه فوق الأرض والدماء الغزيرة التي تدفقت من ظهره تصبغ البساط الأخضر حوله ..

وراح "لوبين" يفحص القتيل ، دون أن يحرك الجثة باكثر مما ينبغي .. فوجده شابا في مقتبل العمر ، لا يعدو الثلاثين يرتدي ثيابا نظيفة تحمل أوراقه الشخصية التي في جيبه اسم "البرت برادفورد فولي" عضو اتحاد البحارة .

ولم يكن بجيوب القتيل أي شيء يمكن أن ينم عن العلاقة بينه وبين الدكتور "ارنست زلرمان" .. كذلك لم يجد " لوبين " في المسكن ، بعد أن فتشه بيد خبير مدرب ، أي دليل على وجود تلك الصلة .

فلما فرغ من بحثه ، غادر المسكن بعد أن أعاد كل شيء إلى مكانه .. ومضى إلى مقصورة التليفون في أحد الحوانيت القريبة حيث طلب الاتصال بمركز البوليس في "بروكلن" .. واخبر الشرطي المنوب ، بعد أن ذكر له عنوان المسكن أنه " سوف يجد شخصا يدعى " البرت فولي " ميتا .. وسوف يعرفه من المدية الحادة التي يضعها في ظهره .

- ٤ -

وفي منتصف الساعة الحادية عشرة من الصباح التالي ، اتصلت به "افالون دكستر " تليفونيا قائلة إنها لم تستطع الانتظار أكثر من ذلك حتى تطمئن عليه، وسألته متى يريد أن يقابلها فقال :

- في اقرب فرصة ممكنة يا عزيزتي .. هل قضيت وقتا طيبا ليلة امس ؟

- بالعكس .. قضيت وقتا تعسا .. فقد عرض علي ذلك الأحمق عملا في "كليفلاند" ولكنني رفضته .. لأنك لا تقيم في تلك المدينة !

- شكرا يا حبيبتي .. وما قولك الآن في أن نخرج معا لنزور بعض الناس ، ثم نمضي بقية اليوم معا ؟

- فكرة رائعة حقا ! .. متى أراك ؟

- بعد نصف الساعة ..

وما كان ارتداء ثياب الخروج يستغرق منه كل هذا الوقت ، ولكنه كان في حاجة إلى محادثة تليفونية مع (واشنطن) .

وساله " هاملتون " عندما اتصل به :

- هل من جديد يا بني ؟ .. اتراك زججت بنفسك في ورطة جديدة ؟
- كلا .. ولكني اود ان تخبرني بكل ما يمكن معرفته عن شخص يدعى "البرت برادفورد فولي ".. لقد كان باستطاعتي ان اتحرى عنه بنفسي لولا انك يمكنك القيام بذلك اسرع مني ، كما ان لدي اعمالا اخرى .
- اي نوع من الأعمال يا ترى ؟
- ساقرا الصحف واصحب فتاتي إلى بعض الزيارات .
- اهي الفتاة نفسها ؟
- بلى هي بلا ريب ..
- وما الذي عرفته عن القضية ؟..
- لم اعرف شيئا معينا بعد .. ولكن من يدري ما ياتي به الغد ؟

فلما فرغ من حديثه تناول إحدى الصحف وراح يقرؤها في الطريق بعد مغادرته الفندق ، فوجدها قد نشرت نبا الجريمة في سطور قليلة فذكرت ان "البرت برادفورد" ، سكرتير اتحاد البحارة عثر عليه بواسطة رجال البوليس مقتولا في مسكنه في " بروكلن" ذلك الصباح ، على اثر بلاغ غامض من شخص مجهول ادلى به إلى الشرطي المنوب تليفونيا.. وقد اسرع المفتشان "رايت " و "ماكتشون" إلى مسكنه فوجدا الجثة مسجاة في حجرة النوم ، وقد غيبت في ظهرها مدية كبيرة مما يستعمله القصابون .. وذكر كبير المفتشين " فرناك" ان من المتوقع القبض على القاتل في اية لحظة .

وفيما كان " لوبين " في السيارة التي اقلته إلى مسكن " افالون دكستر " راح يفكر فيما يعنيه كبير المفتشين بانه يوشك ان يقبض على القاتل .. فما من ريب في ان البوليس لا يعرف عن الجريمة اكثر مما يعرفه هو .. وإلا فهل يعلم البوليس بالعلاقة بين القتيل وبين الدكتور "زلرمان" ؟ .. وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتوقعون القبض على القاتل؟..

لا .. إن الأمر لا يعدو ان يكون مجرد مغالاة من محرر الجريدة ، ليسبغ على الخبر شيئا من الأهمية .

وقابلته " افالون " في ثوب منزلي انيق ، وقادته إلى حجرة الاستقبال ثم احضرت له زجاجة من الشراب ، ريثما ترتدي ثياب

الخروج .. فراح يفكر في مسز " جيرالد ملدون " التي اعتزم زيارتها ، وهي صاحبة أحد الأسماء الثلاثة المدونة في مفكرة عيادة الدكتور زلرمان" .. وكان اسم زوجها " جيرالد ملدون" من الأسماء اللامعة وسط رجال الأعمال ولو أن الصفقات التي كان يبرمها في الأسهم والسندات كانت صفقات مريبة إلى حد ما ، خصوصا انه كان يستخدم أسماء مستعارة في بعض العمليات .

أما مسز " ملدون " فلم يكن " لوبين " يعرف عنها شيئا ، ولكنه أدرك ان ثمة أسباباً معينة هي التي تدفعها إلى استشارة طبيب نفساني كالدكتور " زلرمان" وهذه الأسباب هي التي يعتزم اكتشافها .

وكان من السهل أن يجد عنوانها في الدليل .. وكذلك لم تمض ساعة حتى كان يقرع باب " جيرالد ملدون" ، ثم يمضي والفتاة إلى حجرة استقبال نفيسة الرياش ، حيث وافتهما إليها مسز " ملدون" .

وكانت السيدة على جانب عظيم من الملاحة والفتنة من ذلك الجمال الهادئ الرزين ، طويلة القوام ، فاحمة الشعر ترتدي ثيابا متواضعة انيقة وتسير في خطوات وئيدة رشيقة .

وكانت نبرات صوتها الموسيقي ممزوجة بالدهشة عندما قالت :

- هل طلبتم مقابلتي ؟

فقدم " لوبين " إليها نفسه قائلا :

- إنني " ارشي وليامز " ، المخبر في مجلة (تايم) .. وهذه زوجتي ..

فغمغمت مسز " ملدون" وقد ازدادت دهشتها .

- يسرني أن أراكما .. هل لكما في شيء من الشراب ؟

فلما أوما شاكرين ، أمرت مسز " ملدون" الخادم أن ياتي بمنضدة الشراب المتنقلة ، ثم التفتت إلى " لوبين" ، متسائلة .

- مجلة "تايم "؟ .. وماذا تريد مني ؟ .. ولكن لا باس ! لننتظر حتى تتناولا شيئا ثم نتحدث ..

فلما قدم الخادم كؤوس الشراب إلى ثلاثتهم ، قالت مسز " ملدون" :

- حسنا يا سيدي المحرر ماذا وراءك ؟

- لقد كلفت بجمع المعلومات اللازمة عن الدكتور " زلرمان" حيث إننا نعتزم كتابة مقال عن مشاهير الأطباء .

فحملقت مسز " ملدون" إليه وقالت :

- يا إلهي ! .. وما شاني بذلك ؟

- إنني أريد ان اطرح عليك بضعة أسئلة ، تساعدني على وصف شخصية الطبيب وصفا صحيحا . فإن مهمتي هي معرفة آراء المرضى في أطبائهم .

- ولماذا اخترتني بالذات ؟

- الست من زبائن الدكتور " زلرمان" ؟

- اوه ! .. نعم ..

ولحظ " لوبين" ترددها ، ولكنه لم يعلق على ذلك وقال :

- وكيف ترينه ؟

- إنه شديد التفاخر والخيلاء ..

- هكذا ؟ .. احسب ان شعورا كهذا قد يفسد الصلة بين الطبيب ومرضاه ؟

- إنه رجل مغرور .

- حقا ؟ .. لقد ظننت ان له شهرة ذائعة ؟

- وما هذه الشهرة ؟ .. إنها ما يذيعه عنه ذوو الرؤوس الفارغة الذين تؤثر فيهم طلعته المهيبة ولمسات اصابعه الرقيقة وكذا ما يقوله اولئك المحدثون الذين يتباهون بقولهم : " لقد دفعت خمسمائة دولار في زيارة واحدة له".

- أراك متحاملة عليه .

- كلا .. ولكن ما الذي تريد معرفته عنه ؟ .. عندما كان في (فيينا) في الثالثة عشرة من عمره ضربه احد القصابين على يديه إذ حاول سرقة بعض (السجق) . وكانت نتيجة ذلك انه يصر على ان ترتدي سكرتيرته ثوبا ازرق اللون .. فهو لا يطيق رؤية ثوب أبيض حواليه .. وهو لا يعرف السبب بالتاكيد وليست لديه اقل فكرة عن ان القصاب الذي ضربه كان يرتدي معطفا ابيض اللون وان كرهه لهذا اللون ناشئ عن عقدة نفسية في أعماقه هو.

- يبدو انه لا يصلح موضوعا لمجلتنا .

- آه ! .. امض في سبيلك ولا تبال .. هل لك في كاس أخرى ؟

- هلا اخبرتني يا مسز " ملدون" ، كيف تتوقعين الحصول على علاج نفسي من رجل تتحدثين عنه بهذا الازدراء ..

فاعتدلت مسز " ملدون" في جلستها ، وهتفت :

- ازدراء ؟ .. لا شيء من ذلك يا سيدي .. فهو رجل بارع في عمله ، قادر على أن يجعلك تتحدث عن نفسك باشياء ما كنت تحب ان تتحدث عنها .. وربما كان ذلك مفيداً ، فلست ادري .. نعم .. يجب ان يكون كذلك .. فقد افادني في فهم نفسي ، ولو انني لم أكن احب أن افهمها .. ولكن "جيرالد" أصر على ذلك.. - هل افهم من ذلك أن صلتك بالدكتور "زلرمان" قد راقت لك ؟

فتطلعت إليه في ثبات ، وقالت :

- راقت لي ؟ .. ما الذي تعنيه بهذا القول تماما ؟ إنك احيانا تقع فريسة عاطفتك إذا اثيرت دفعة واحدة ..والعاطفة قوة دافعة لا يمكن تجاهلها .. فإذا وقعت فريسة لها ، فإن كل ما تفعله وقتئذ يروق لك .. حتى لو رحت تلعن نفسك بعد ذلك ، أو إذا لم تجد الجراة للتحدث عنه.

- اتعنين أنه ليس قويم الخلق ؟

- وما هو الخلق القويم ؟ .. وكيف يتفق ذلك مع كونك من البشر ؟ .. إن مجرد كونك من البشر يجعلك تخضع لحوافز معينة . هكذا قال العالمان "فرويد " وكرافت إبنج "

- وهل يخضع الدكتور " زلرمان" لحوافز معينة ؟

- لا ريب أنه يفعل .. حتى ولو قيل عنه إنه طبيب ساحر للنفس والعقل . فإن ذلك لا يغير اخلاقه قط .. وجميع العوامل والاشياء التي خلقت منه ما هو عليه الآن لا يمكن أن تتغير أو تتبدل .

فجرع " لوبين" كاسه ، ووضع القدح الفارغ امامه ، ثم قال :

- لقد أضعنا الكثير من وقتك يا مسز " ملدون " ، فشكرا لهذه المعونة الثمينة.

فنهضت السيدة وهي تبتسم ابتسامة رقيقة وقالت :

- لا تظنني متحاملة على الرجل .. فإن الذين يعتقدون انه ملاك طاهر اكثر ممن يخالفونهم هذا الراي .. ثم إنه في بعض الأحيان يكون

كذلك حقا .

ولم يسألها " لوبين " عن هذه الأحيان ، وإنما انصرف و"افالون" حيث استقلا سيارة ذكر لسائقها عنوان " جيمس براثر" صاحب الاسم الثالث الذي رآه في مفكرة زيارات الطبيب ، ثم راح يفكر فيما سمعه من مسز "ملدون" .

واخيرا غمغم :

- لا ريب أن الرجل يمارس ابتزاز المال بالتهديد .. وليس يعنيني رايها في "زلرمان" ، ولكنها ما كانت لتتحدث عنه بهذه المرارة لولا أنه يستنزف دمها بطريقة ما .. وعلينا أن نكتشف كيف يفعل ذلك .

- لست أحسب أنني يمكنني مساعدتك في هذا الأمر .. ولكني اعتقد أن السيدة قد تورطت في علاقات آثمة مع الطبيب او مع غيره ..

- لعلك على صواب .

واستمرا يتحدثان في هذا الأمر حتى بلغا منزل " براثر " ، فوجداه يقطن مسكناً انيقاً في حي راق . وقد استقبلهما الرجل في غير حفاوة، وطلب إليهما أن يجلسا ، ولكنه لم يعرض عليهما شرابا ، وإنما راح يذرع الحجرة مقطب الحاجبين عابسا . وكان في نحو الثلاثين من العمر ، ذو عينين زرقاوين واسعتين قد برزت حدقتاهما بما يذكرك بهيئة السرطان البحري .

واخيرا قال في جفاء :

- ماذا هنالك ؟ ..

فقدم له " لوبين " نفسه كمندوب لمجلة (تايم) ، وذكر له موضوع البحث الذي يقوم به ، فقال :

- أجل .. أجل .. ما الذي تريد أن تعرفه عن الدكتور " زلرمان" ؟ .. اي نوع هو من الرجال ، أم اي نوع من الأطباء ؟

- كلاهما ..

- آه ! حسنا .

وعندئذ دوى جرس التليفون ، فاعتذر "براثر" لزائريه ، ولبى النداء ، وهو يصغي في إمعان واهتمام .. ثم القى نظرة على " لوبين " ، وهو يقول لمحدثه :

- نعم .. لقد فهمت .. إلى اللقاء ..

ثم تحول إلى " لوبين " قائلا :

- هل لك ان تتفضل بالخروج من هنا ؟

وكان " لوبين " في بادئ الأمر يتامل مستر "براثر" في ازدراء ، ثم في تلذذ ، كما يرقب المرء شخصا في ورطة مضحكة ، ومن ثم لم يبال بقوله ، وقاد " افالون " إلى اريكة مريحة ، ثم جلس إلى جانبها ، واخرج من جيبه قلما مذهبا ومفكرة انيقة ، وقد لاحت في عينيه تلك النظرة الساخرة وهو يقول :

- ما الذي كنت تريد قوله عن الدكتور " زلرمان" ؟ ..

فراحت أصابع " جيمس براثر " تعبث بطرف ثوبه في عصبية شديدة وهو يهتف :

- ارجوك .. ينبغي أن تنصرف للتو ، فليس لدي وقت اقضيه معك الآن .. تعال غدا .. او في الأسبوع التالي .. إنني على موعد بالغ الأهمية ، لم يكن منتظرا .. وإني اسف لذلك .. ولكن .

ثم مضى إلى الباب وفتحه على مصراعيه ..

ففكر " لوبين " مليا ، ثم نهض وعاون " افالون " على النهوض بالمثل .. فلما بلغا الباب قال لمستر "براثر" :

- سوف أعود فيما بعد ..

فاوما الرجل براسه في حنق ولبث واقفا حتى سار الزائران بضع خطوات فصفق الباب في عنف ! فلما دخلت " افالون" المصعد ، قال لها في همس :

- انتظريني في دهليز العمارة يا عزيزتي ..

ولما هبط بها المصعد مضى " لوبين" إلى أحد الأركان فاختبا به بحيث كان يستطيع ان يرى باب المصعد وباب مسكن "براثر" معا .. إذ كان على يقين من ان انتظاره لن يطول قبل أن يحدث شيء معين .. اما كنه هذا الشيء فلم يكن في وسعه أن يحدسه ..

وراح يفكر في الآثار الزائفة التي اقتفاها قبل ان تقوده غريزته وابحاثه إلى قبو" كوكي " .. ترى هل تكون هذه إحداها ؟ .. وهل يسفر انتظاره عن ان الموعد الذي اثار انفعال "براثر" ولهفته لا صلة له البتة

بقضية تهريب المخدرات هذه ؟

وسمع ازيز المصعد ، وما لبث ان رآه يقف ، ويخرج منه شابان يدل مظهرهما على انهما قد عادا للتو من البحر .. ومع انهما كانا يرتديان ثيابا مدنية ،إلا ان البحر كان يبدو واضحا في بشريتهما اللتين لوحهما هواؤه ، وفي أيديهما الخشنة، وفي مشيتهما المتارجحة .

ومضى الشابان قدما إلى باب " جيمس برائر" فقرعا الجرس وما لبث الباب ان فتح على الفور حيث دخلا واغلق الباب خلفهما .. وعندئذ خرج "لوبين" من مكمنه وراح ينصت امام الباب ولكنه لم يسمع شيئا ، إذ كان الباب .. سميكا محكم الغلق .. فهز راسه في أسف ، ومضى نحو المصعد واستقله إلى الطابق الأسفل حيث وجد "افالون" جالسة في انتظاره بالدهليز فقال لها :

- لقد طرات لي فكرة لا باس بها .. ولكني لا أريد ان يراني أحد معك الآن قبل أن نستعد .. ولعل هذين البحارين يتاخران بضع دقائق ريثما اخبرك بها..

وخرجا من باب العمارة فدعا إحدى سيارات الأجرة ، واعانها على الصعود إليها ثم قال :

- سوف يخرج الآن شابان من البحارة لعلك رايتهما عند حضورهما، احدهما في ثوب رمادي والآخر في ثوب ازرق . الم يلاحظا وجودك ؟

- لقد كادت نظراتهما تخترقني ، ولكنهما لم يكلماني .

- اعذريهما يا عزيزتي ، فقد كانا مشغولي الفكر بامور مهمة .. ولكنهما سيفرغان منها عند خروجهما ، ويغدوان على استعداد للقيام بجولة في المدينة للمرح واللهو .. وسوف يذكرانك عند انصرافهما ويسرهما ان تصحبيهما لقضاء بعض الوقت في إنفاق الثروة التي اكتسباها اخيراً ..

فنظرت إليه "افالون" في دهشة وقالت :

- لست ادري عن اي شيء تتحدث ؟

ولكن "لوبين" لم يكن بالذي يفصح عن اغراضه ، حتى ولو كان ذلك لفتاة جميلة مثل "افالون دكستر" .. فهو لا يدري حتى الآن حقيقة

موقفها منه .. وإذا كانت من أفراد العصابة وتؤدي دورا بارعاً لخداعه، وهي فكرة يحس بان كل جارحة في جسمه تعارضها وتثور في وجهها ، فإنها قد تعرف إن كان يسير وراء اثر صحيح ام خاطئ .. وسوف تؤدي معرفتها هذه إلى تحذير الشابين اللذين في مسكن "جيمس براثر" الآن .. ولذلك ابتسم في دعة ، وقال :

- إنني نفسي لست ادري عن اي شيء أتحدث يا صغيرتي ولكن إذا صح حدسي فإن هذين الفتيين سوف يخرجان من هنا ولديهما رغبة واحدة ، هي البحث عن أسرع وسيلة للهو والمرح .

وكان "لوبين" قد رسم خطته في لمحة خاطفة ، إذ كان يريد أن يتحدث إلى هذين الشابين دون ان يعرفا انه قد تعمد ذلك .. فاستطرد قائلا :

- هل لك ان تسدي إلي صنيعا صغيراً يا عزيزتي ؟

- بلا ريب .. إنني افعل المستحيل من اجلك .

- إنني اريد ان تعودي ثانية إلى ذلك المنزل وتنتظري في دهليزه ..

فصمتت "افالون" لحظة وجيزة ثم قالت :

- لقد فهمت غرضك .. ولكن ما هي الصفة التي اقدمك بها إليهما ؟

- مدير اعمالك ..

- أجل .. إذن فانت تريد ان اجعلهما يريانني عند خروجهما ويتعرفان بي وفي اللحظة التي نخرج فيها إلى الطريق تظهر انت قادما بهذه السيارة فاقول لهما إنني لا أستطيع الذهاب معهما . ولكنك تسمح لي بذلك على شرط أن ترافقنا ، وعندئذ نستقل السيارة جميعا .. اليس كذلك؟

فقبلها "لوبين" في إعجاب ، واوما موافقا ، وعندئذ غادرت السيارة إلى المنزل يتبعها بنظراته برهة وقد ادهشه ذكاؤها الخارق إذ استطاعت أن تحدس خطته بادق تفاصيلها دون ان يذكر لها سوى فكرة عامة عنها .

واستقل السيارة بدوره وطلب إلى السائق ان يقف بها في طريق جانبي ويتاهب لأول إشارة منه .

ولم تمض دقائق معدودات حتى رأى "لوبين" "افالون دكستر" تبدو من باب المنزل ومعها الفتيان .. وفي اللحظة التالية ، كان يقف بالسيارة

امامهم ، ويفتح بابها قائلا :
- معذرة يا عزيزتي .. لقد تاخرت كثيرا خشيت الا اجدك .
- نعم ، لقد حضرت اخيرا ، وكنت أوشك أن انصرف .. حسنا ! أما وقد حضرت .. على فكرة اقدم لك "جوهيمان" ، و"سام جفريز" .
فصافحهما "لوبين" قائلا في مرح :
- اسمي "سيمون سمبلون" .. إلى أين تريدون الذهاب ؟
فقالت "افالون" في ارتباك :
- إنني لست واثقة من انك مدعو إلى هذه النزهة يا "سيمون" .. لقد كنت مع هذين السيدين نعتزم القيام بجولة في المدينة ..
- ولكنني مدير أعمالك يا عزيزتي ، ولا يمكنك أن تعملي أي شيء دون موافقتي .
فرفعت الفتاة حاجبيها وقالت :
- أي شيء ؟ ..
- حسنا ! .
وارتبك الفتيان بالمثل ، ولكن "افالون" طرقت الأرض بقدمها في حنق وقالت :
- إنك تعرف ما أعنيه ..
فقال "لوبين" في صراحة :
- إنني مدير أعمالك يا مس "دكستر" بحكم القانون .. ومن حقي أن أقدم لك مشورتي فيما يختص بانتقالك هنا أو هناك ، وعليك أن تعملي بهذه المشورة .
فقوست شفتيها في ازدراء ، وغمغمت :
- هل كونك مدير أعمالي يكسبك حق التدخل في شؤوني الشخصية؟..
- اخشى أن يكون الأمر كذلك رغم ما فيه من هوان ..
وكان الفتيان يتململان في وقفتهما وينقلان قدما بعد الأخرى .. في حين كان "لوبين" يود أن ينقض على "افالون" ويقبلها إذ كانت تؤدي دورها في براعة عجيبة وهي ترمقه بنظرات السخط والحنق ..
واخيرا قال "سام جفريز" :

- لقد كنا نوشك ان نقوم بجولة سريعة في المدينة ..

ففكر "لوبين" قليلا ثم قال :

- إنها فكرة طيبة .. لماذا لا نقوم بها جميعا ؟ ..

ونظر كل من الفتيين إلى "افالون" ، فما كانا يرغبان في أن يصحبهما رقيب ونظرت إليهما بدورها ، ثم إلى "لوبين" ، ثم هزت كتفيها في غير اكتراث ..

وعندئذ قال "جوهيمان" :

- ولم لا ؟ ..

وهكذا استقلوا جميعا تلك السيارة .. وفيما كان "لوبين" يتبعهم إلى داخلها رفع نظره إلى اعلى ، فراى وجه "جيمس براثر" مطلا من إحدى النوافذ .

تعمد "لوبين" أن يكون مجلسه في أحد المقعدين الأماميين الصغيرين، وظهره إلى السائق ، حتى تتاح له فرصة النظر من النافذة الخلفية فيعلم إن كان هناك من يقتفي اثرهم ..

ولكنه ما كاد يجلس حتى لاحظ أن "سام جفريز" قد أخرج مسدسا من جيبه صوبه نحوه ، وراح يحدجه بنظراته فترة طويلة قبل أن يقول :

- يا لك من رجل عنيد ! .. بل لقد سمعنا أنك اكثر من ذلك .. ولكن اتحسبني لم أعرفك ؟ .. لقد نشرت لك الصحف صورا كثيرة .. فانت "ارسين لوبين" !

فابتسم "لوبين" ابتسامة رقيقة ، وقال :

- هل الأمر كذلك ؟ .. وما دمت تتكلم بهذه الصراحة فلماذا إذن تهددني بهذا المسدس ؟ ..

فشهقت "افالون" ، وكانت لم تر المسدس بعد .. بينما قال "سام جفريز"

- حسنا .. أحسب انه ليس ضروريا .. فإنني لن أطلق النار عليك إلا إذا حاولت خداعنا باكثر مما فعلت الآن ..

- ولكني في الواقع مدير اعمال هذه السيدة ، فهي مغنية في النوادي الليلية..

- إنني لا اعترض على هذا القول بشيء الآن .. وسوف نرى ..

وبدا "لوبين" يتحسس جيبه الداخلي وهو يقول :
- هل لي أن ادخن ؟
- بلا ريب ..
فاخرج "لوبين" علبة سجائره ، واشعل لفافة منها ، ثم اعادها إلى جيبه ، وهو ينتهز الفرصة ليتحسس المدية التي يربطها إلى ذراعه حتى يستوثق من وجودها .
واستطرد "سام جفريز" :
- حسنا .. إني لم اعرفك في بادئ الأمر ، ولكني تبينت حقيقتك بعد أن ركبنا السيارة معك ، فساءلت في نفسي ماذا يريد "لوبين" من شخصين مثلنا ؟ فلما لم استطع معرفة ما تسعى إليه ، قلت إن خير وسيلة هي أن اتحفز للدفاع عن نفسي فاخرجت مسدسي .
فتنهد "لوبين" في ارتياح ، إذ تبين أن "سام جفريز" قد فوجئ بظهوره امامه ولو أن "افالون" كانت ضمن العصابة لحذرتهما منه قبل خروجها معهما .. ولكنها لم تفعل .. ولكن من يدري ؟ .. ربما حذرتهما "افالون" منه ، ولكنها ببراعتها رسمت لهما هذه الخطة حتى لا يرتاب "لوبين" في امرها . وهكذا كان "لوبين" في حيرة من حقيقة امر الفتاة .. ويرى اهمية قصوى في الوصول إلى راي حاسم عن نواياها واغراضها .. خصوصا وانه يرى نفسه يسير في الأثر الصحيح نحو الهدف الذي يرمي إليه ، ما دام الامر ذا صلة برجال البحر ..
ففي وسعه أن يتصور تلك البواخر التي ترحل من (نيويورك) ، لتخترق قناتي (بنما) او (السويس) في طريقها شرقا او غربا ، ووجهتها دائما إلى بلاد الشرق الاقصى .. منها ناقلات البضائع الصغيرة ، ومنها بواخر الركاب الكبيرة الذاهبة إلى (كلكتا) او (سنغافورة) او (شنغهاي) .. وفي هذه او تلك يرى أحد البحارة يهبط في أحد تلك الموانى ، ويذهب إلى عنوان معين فيقول : "لقد ارسلني جورج" .. فتكون هذه العبارة السحرية اشبه بعبارة (افتح يا سمسم)، تفتح له الأبواب المغلقة ، وتضع امامه طعاما دسما وشرابا سائغا .. وفي نهاية زيارته يعطى لفافة كبيرة او صغيرة ليعود بها إلى "نيويورك "ويسلمها إلى (جورج) .

و(جورج) ، في قصتنا هذه ، هو "جيمس براثر" .
ولكن لحساب من يعمل هؤلاء البحارة الأغرار حقا ؟ ..
إن "جيمس براثر" لا يمكن أن يكون إلا وسيطا بينهم وبين .. بين من يا ترى؟ هذه هي المسألة التي تتطلب الحل الذي ينشده "لوبين" ، وينشده معه مستر "هاملتون" مدير مكتب المخدرات في (واشنطن) .
وأخيرا قال لـ " سام جفريز" :
- هل تريد أن أريك تذكرة عضويتي في اتحاد الوكلاء ؟
- لتثبت لي أنك وكيل أعمالها ؟ .. كلا .. لا داعي لذلك الآن .. وربما كنت قد تسرعت قليلا .. فما قولك في أن ننسى ما حدث ؟
- أتحب أن نتصافح باليد اليسرى ، أم تفضل أن تعيد هذه الآلة الجهنمية إلى جيبك ؟
فضحك "سام جفريز" ، ووضع المسدس في جيبه ، ثم صافح "لوبين" بيد خشنة صلبة ، جعل يهزها في عنف وقوة ، فقالت "افالون" وهي تبتسم :
- ولكنكم لم تقولوا للسائق حتى الآن أين يذهب بنا ..
- إنك ضيفة الشرف الليلة يا مس "دكستر" فلماذا لا تذكرين المكان الذي تفضلين الذهاب إليه ؟ .
فنظرت الفتاة إلى "لوبين" ، ولكنه كان ينظر إلى الخارج ..
وعندئذ التفتت إلى "جوهيمان" قائلة :
- لنذهب إلى حيث يختار " جو" .
فبدت الحيرة في أسارير الفتى .. وتردد طويلا وقد اصطبغ .. وجهه بحمرة الخجل إذ رأى أنظارهم جميعا تتطلع إليه في انتظار قراره .. وأخيرا اشرق وجهه وقال :
- لماذا لا نذهب عند "كوكي" ؟ .
ولم يكن "لوبين" يحب الذهاب إلى الملهى في صحبة الفتيين ولكنه من ناحية أخرى رأى في ذلك وسيلة لاستطلاع أخبار معسكر الأعداء .. فقد رآه "جيمس براثر" يغادر منزله في صحبة "افالون" والبحارين .. وإذا صح حدسه فإن هذا الأمر جدير بأن يبلغه "براثر" للتو إلى مركز القيادة .. فإذا ذهبوا جميعا إلى الملهى ، في تلك الساعة المبكرة ، فقد

يقدم الأعداء على العمل في صراحة ، وعندئذ تنكشف له امورهم على حقيقتها .. ولذلك فقد غمغم :

- إنها فكرة طيبة ..

وعندئذ ماتت الكلمات التي أوشكت "افالون" على النطق بها على شفتيها .. فقد كانت تريد ان تقول إن ذلك الملهى يكون سخيفا مملا في تلك الساعة المبكرة ، وإنها لا تحب الذهاب إليه ، ولكن عندما ابدى "لوبين" موافقته ، أخلدت إلى الصمت وهي تلقي عليه نظرة حائرة ..

وأحب "لوبين" أن يعرف ما يبطن الفتى ، فقال :

- ولكن لماذا اخترت "كوكي" بالذات ؟

فاجاب "سام جفريز" :

- إن زملاءنا لا يفتئون يقولون إنه مكان جميل يقضي فيه المرء وقتا طيبا .. فإن المرء إذا عاد من الشرق الأقصى يحتاج إلى مكان مثل هذا ليستمتع فيه بإجازته ..

- آه ! .. وهل سمعت باسم "كوكي" ، في الشرق الأقصى ؟

- أجل .. من بحارة البواخر الأخرى ..

- ولكنك لم تذهب إليها قط ؟

- كلا ..

- ليتني اذهب إلى الشرق مرة ! .. فإن له سحرا يشوقني إلى رؤيته.. ترى أين كنتما في رحلتكما الأخيرة ؟

وبينما مضى "سام" يعدد الجهات التي مرا بها كان "لوبين" يفكر في تلك الحقيقة ، وهي انهما لم يذهبا إلى قبو" كوكي" ويخيل إليه ان ذلك لا يتفق والفكرة التي كونها في بادئ الأمر ..

وشعر بان هناك حلقة للاتصال بين بحارة البواخر وبين قبو "كوكي" فهل هو "جيمس براثر" ؟ أم المرحوم "البرت برادفورد فولي" ؟ ..

ثم إن "فولي" كان على صلة بالدكتور "زلرمان" .. وهذا الأخير وثيق العلاقة بقبو (كوكي) او بالأحرى بشخص معين فلا ريب ان هناك حلقة معينة تربط بين هؤلاء جميعاً .

ومهما يكن من امر ، فقد ذهبوا إلى الملهى .. وكان خاويا إلا من بعض الرواد المتناثرين هنا وهناك .

ومن هؤلاء كان "جيمس براثر" ، منهمكا في الحديث مع "كاي ناتيللو".. وما كاد يلحظ دخولهم حتى ضاقت عيناه ، وغادر مائدته ومضى يسير نحوهم في تمهل .

- ٥ -

أحس "لوبين" بحاسته السادسة المرهفة ، بنظرات "جيمس براثر" وهي تخترق ظهره ، فالقى نظرة سريعة خلفه ، وراى الرجل وهو يتقدم نحوهم ، فادرك للتو أنه يريد أن يتحدث إليه ، بل لقد كان في وسعه أن يحدس كل كلمة من العبارات التي سيوجهها "براثر "إليه .. ومن ثم همس في اذن "افالون" قائلاً :

- خذي زميليك إلى إحدى الموائد البعيدة ، وسالحق بكم بعد أن اتبادل كلمتين مع صديقنا هذا .

فسارت الفتاة بين الشابين إلى الطرف الأقصى للقاعة على حين وقف "لوبين" في انتظار "جيمس براثر" الذي ابتدره قائلا :

- ما الذي جئت تفعله هنا بحق السماء ؟

فارتسمت على شفتي "لوبين" ابتسامته المالوفة الظاهرة البراءة ، كما التمعت في عينيه لمحة السخرية التي طالما عصفت باعصاب أعدائه ، بحيث تململ "براثر" في وقفته واخذ يجول بنظراته هنا وهناك وهو لا يستطيع أن يواجه بها "لوبين" فمرت نظراته على البحارين وهما في صحبة "افالون" ، ولكنه لم يبد في عينيه ما يدل على انه يعرفهما .. واخيرا أجاب "لوبين" :

- لقد بذل كثير من ابناء هذه البلاد دماءهم في سبيل الحرية والديمقراطية يا صديقي العزيز ، حتى فازوا بها وغدت تعاليمهم دستورا موروثا على كر السنين.. ومنها انه من حق مواطن مثلي أن يدخل اي محل عام يعجبه ، حتى لو كان وكرا خبيثا ، فاسد الهواء يقدم اشربة مغشوشة كهذا !

فاجاب "براثر" في دهشة وحنق :

-إن وراء مسلكك هذا شيئا لا افهمه .. ففي بادئ الأمر جئت إلى

مسكني بتلك الاكذوبة الصارخة عن الصحف والأبحاث .. ثم تبعتني إلى هنا بعد ذلك .. فلماذا ؟ إنني اعرف من انت ! .. فانت "ارسين لوبين" ! ولكني رغم ذلك لا استطيع أن افهم لماذا تتبعني إلى هنا ؟..

– اتبعك ؟ إنك يا بني لست بالذي اتبعه إلى مثل هذا الركن من الفردوس المفقود .. ولكن ما دمت قد استطعت الحضور إلى هنا بمثل سرعة البرق فيسرني أن أراك ، وأن أصل ما انقطع من حديثي معك .. لماذا لا تجلس معنا؟ إنني لا أزال في حاجة إلى جمع المعلومات التي اريدها ..

فنظر "براثر" إلى المائدة التي جلست إليها "افالون" والفتيان في إمعان ثم أجاب :

– شكرا لك .. يسرني أن اقبل دعوتك .

فلما بلغا المائدة ، كان "سام جفريز" يقول مسترسلا كانما يتم حديثا بداه – – .. وكان هناك ذلك الرجل الذي كان ينبغي لنا مقابلته في (شنغهاي) .. واراد "جو" ان يشرب حتى يثمل اولا ، ولكنني قلت له إننا يجب ان نرى ذلك الرجل قبل أن ..

ولكنه قطع حديثه ، ورفع ناظريه إلى أعلى .. وبدت عليه لمحة من المعرفة حين نظر إلى "براثر" في غير دهشة أو تعجب ومع ذلك قال لـ "لوبين" :

– لقد كنت احدث مس "دكستر" عن رحلتنا الأخيرة ..

وحدث شيء وقتئذ ، ولكن "لوبين" لم يتبينه تماما .. وقد يكون ذلك الشيء نظرة ذات مغزى ، أو وكزة بالذراع او بالقدم او إيماءة خفيفة من "جيمس براثر" .. فقد كف "سام جفريز" عن الاسترسال بغتة .. ولم يكن ينظر إلى "براثر" أو إلى غيره من الحاضرين ، ومع ذلك فقد بدت عليه علامات التفكير العميق وخبا تالق عينيه فغدت نظراتهما باردة جوفاء ..

ونهض الشابان عندما قدم لهما "لوبين "جيمس براثر" ، فصافحاه في جمود وبغير احتفاء .. وظل "سام " واقفا ثم قال لرفيقه :

- يحسن أن ننصرف الآن يا "جو" ..

- كما تشاء ..

فقالت "أفالون" ، وهي تعلم أن الشابين قد عقدا النية على الانصراف:

- لا تذهبا الآن .. فإنكما لم تمكثا إلا لحظة وجيزة .

بينما قال "لوبين" :

- أتمضيان الآن والحفلة توشك أن تبدأ ؟

فقال "سام" :

- إنك تعلم يا "لوبين" اننا قد عدنا للتو من رحلة طويلة ، وينبغي أن يبحث كل منا عن فتاته .. خصوصا وأن الآنسة "دكستر" مشغولة معك..

وتصافح الجميع ثانية .. ومضى الفتيان في طريقهما .. وتقدمت "كاي ناتيللو" نحوهم لتحيي "لوبين" و"افالون" ، ولكنها لم تمكث طويلا.. فما كادت تنصرف حتى قال "لوبين" لـ "براثر" :

- والآن حدثنا عن الدكتور "زلرمان" .

فلم تطرف عين "براثر" ، ولم يبد عليه القلق والاضطراب وهو يقول :

- وماذا يمكن أن أقوله عنه ؟ إنه طبيب نفسي .. وقد يكون بارعا .. ولكنه على أية حال يتقاضى أجورا عالية .

- حسنا .. دعنا منه الآن ، ولننصرف إلى ضرب آخر من التسلية ..

فرفعت "أفالون" حاجبيها دهشة ، وقالت :

- وكيف تنوي أن تفعل ذلك ؟

فابتسم "لوبين" في دعة ، وقال :

- باختبار معرفتي باللغات يا عزيزتي ..

ثم مال نحو "براثر" وحدجه بنظراته قائلا :

- فمثلا هل تعرف كلمة "كوجاك" ؟

فلما أخلد الرجل إلى الصمت ، استطرد "لوبين" مفسرا :

- إنه اصطلاح يطلق على زهر نبات معين يزرع غالبا في آسيا .. فعندما يجف ساق النبات ، وتتساقط أوراقه ، تفرك الأزهار الهشة

بالأصابع وتتحول إلى مسحوق هو الذي يسمى "كوجاك" .

فقالت "افالون" :

- ما الذي تتكلم عنه ؟

- اعتقد ان مستر "براثر" يمكن أن يفهم ما قلت ..

فاختلجت اهداب "براثر" وقال :

- إني آسف .. فلست افهم ما تعنيه .

- آه ! هذا لا يهم .. فلنتحدث إذن عن شيء آخر ..

ولاحظ "لوبين" في تلك اللحظة ، ان "كاي ناتيللو" التي كانت تقف في ركن قصي ، قد غادرت القاعة من باب خلفي .. فهل اشار لها "براثر" إشارة خفيفة لم يرها هو (اي "لوبين") ؟

ثم استطرد قائلا :

- لا ريب انك تحيا حياة مشوقة يا مستر "براثر" باتصالك بمعظم موانئ العالم .

فحملق إليه "براثر" ، وقال :

- إنك تتكلم بالأحاجي والألغاز يا "لوبين" .. فلست افهم ما الذي تعنيه؟

ولم يكن ثمة مجال للشك في صدق الدهشة التي ارتسمت في هاتين العينين الزرقاوين ، مما دعا "لوبين" إلى التمهل قليلا في هجومه .. فقد كان استنتاجه عن العصابة التي يطاردها أن "براثر" هو احد الأركان المهمة فيها .. وقد اكد "سام جفريز" هذا الراي في حديثه الذي لم يتمه عندما كان يقول لـ "افالون" :

"وكان هناك ذلك الرجل الذي كان ينبغي لنا مقابلته في شنغهاي "

فإن ذلك كان يتفق مع نظرية "لوبين" عن عبارة (لقد ارسلني جورج..).. فقد تم الاتصال بين "سام جفريز" والعصابة هنا ، وتزويده بالتعليمات اللازمة ، وربما بدفعة على الحساب .. ثم استلام لفافة كبيرة او صغيرة في احد مواني الشرق ، وإحضارها لتسليمها إلى "جيمس براثر" في نيويورك . لقد كانت النظرية سليمة من كل الوجوه

.. ومع ذلك فإن الدهشة التي تبدت في اسارير الرجل تدل على انه لم يفهم تلميح "لوبين" حقا .. فهل كان "براثر" ابرع مما يبدو عليه ؟ وهل كان يؤدي دوراً معينا لتضليل "لوبين" وإبعاده عن الأثر الصحيح ؟ ام أنه لم يفهم غرض "لوبين" حقا ؟ ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا حضر إلى الملهى راسا عقب الزيارة التي تلقاها من اثنين من البحارة عادا من الشرق توا ؟

لا ريب ان لمستر "براثر" صلة بهذا الأمر .. وعلى "لوبين" ان يحدد هذه الصلة تماما .. فاستطرد قائلا :

- حسنا .. هذا لا يهم ايضا .. فلدينا اشياء اخرى اكثر اهمية لنتحدث عنها ولكن يجدر بنا ان نملأ كؤوسنا ثانية ..

ثم دعا الساقي وامره باحضار ثلاث كؤوس اخرى من الشراب الذي كانوا يشربونه ، وبعدئذ اردف يقول لـ "براثر" وهو يبتسم :

- إنني لم اكن أصيد في الظلام حقا ، ولكني اعتقد أن ملاحظاتي لم يجانبها الصواب

فاجاب "براثر" :

- مهما كان ما تقوله فإنني أحب حديثك .. فإن لك صوتا مشوقا جذابا .. ومع ذلك فلست ارى ما الذي يدعوك إلى إنفاق وقتك معي ..

- هل نسيت انني لا أزال اجري تحرياتي عن الدكتور "زلرمان" ؟

قهقه "براثر" وقال :

- لقد نسيت حقا .. آه .. ها هو ذا الشراب قد حضر ..

وكان الساقي ، وهو رجل وحشي الصورة اشبه بحداد القرية ، قادما نحوهم ومعه اقداح الشراب... ولكن عين "لوبين" المدربة تبينت التغيير الذي وقع للساقي وللشراب معا .. فقد كان الساقي عندما تلقى امره وهرع لتنفيذه يبدو خاضعا دمث الخلق شان من يرغب في إرضاء الزبائن .. اما الآن فقد حضر وعلى محياه مظاهر التحفز للشر .. كما أن الشراب الذي جلبه لم يكن الشراب المطلوب ، وإنما كان غيره!..

فلما بدا يضع الأقداح على المائدة قال "لوبين" له :

- أسف .. لم اطلب هذا الشراب ..

فقال الساقي في قحة :

- ماذا ؟ .. هل تريد إثارة المتاعب ؟ ..

- كلا ! .. بل أريد فقط الشراب الذي طلبته .

- بل يخيل إلي انك تريد العراك ، فقد طلبت شرابا معينا ، والآن تتكلم عن غيره فما الذي تسعى وراءه ؟

- لا شيء .. إنني احاول الحصول على الشراب الذي طلبته ..

- وماذا افعل بهذه الكؤوس ؟

- إذا كنت قد اخطات فإني مستعد لتحمل ثمنها .. اما إذا كنت قد تعمدت الخطا فيمكنك ان تسكبها فوق راسك ..

فتطلع إليه الساقي في قحة بادية ، ورفع الساقي الاقداح ثم مضى بها .. بينما ظل "لوبين" محتفظا بهدوئه ، وراح يتحدث عن الصور المنقوشة على الجدران بريشة مستر "بيرفيلد" الذي ينبض بالانوثة !

فلما حضر الساقي ثانية ، كان من الواضح ان في الامر سرا ، إذ جلب شرابا من نوع جديد غير الذي يريده "لوبين" فلما نبهه إلى ذلك ثار متوعدا وابى ان يستبدله ، واشار إلى مدير الملهى فحضر على عجل سائلا عما حدث.. فلما اخبره "لوبين" بشكواه قال في ترفع :

- إذا كانت الخدمة هنا لا تعجبك فلماذا لا تنصرف ؟ ..

- ولماذا ؟ ..

- لا شيء .. فإننا نحتفظ لانفسنا بالحق المطلق في رفض تقديم الشراب لاي شخص وهاك اللافتة التي كتب عليها ذلك .

ثم اشار إلى لافتة صغيرة معلقة فوق (المقهى) ..

- إذن فانتم ترفضون تقديم شيء لي ؟

- لن نستخدم هذا الحق إذا لم تثر المتاعب .. وهذا آخر تحذير لك ..

ثم اشار إلى الساقي بيده قائلا :

- احضر له ما طلب . .

ومع ذلك فقد عاد الساقي للمرة الثالثة بغير الشراب المطلوب ، فما

كاد "لوبين" يراه حتى قال وهو يبتسم في جذل :

- لقد صبرت عليك كثيرا يا بني ، وتلقيت قحتك وسلاطتك في صبر وحلم .. ولكني أحذرك بانك إذا لم تجلب لنا الشراب المطلوب في المرة القادمة ، فسوف أجعل والدتك تندم على أنها لم تؤدبك قبل أن أتولى عنها ذلك ..

-إذن فانت تبغي العراك ؟ .. حسنا .. هالو "جاك" !

فكف عامل البار عن العمل الذي كان بيده .. وكان يبدو أنه هو المسمى "جاك".. وكان عملاقا يبلغ المترين طولا ، عريض المنكبين ، بادي الشراسة ، كانه مصارع قديم وما لبث أن خرج ثم أشار إلى ساق ثان بأن يتبعه ..

ولم يتحرك "لوبين" من مكانه قيد شعره كما لم تغب الابتسامة عن شفتيه ، وظل يرقب الكتيبة التي تحركت نحوه ، كما يرقب ملهاة مسلية ، وهو يزن قوتهم وسرعة حركاتهم .

وكان يرى الاهتمام باديا في عيني "برائر" ، والقلق .. مرتسما في أسارير "أفالون" ويداها المنقبضتان في تحفز .. ومع ذلك فقد ظل كما هو حتى دنا منه "جاك" ورفيقه وقالا في هدوء :

- هيا اخرج من هنا ..

فلم يتحرك "لوبين" وإنما تظاهر بالدهشة ، وقال :

- ماذا ؟ ما معنى هذه القحة ، يجب أن يحضر المدير حالا ليفسر هذا المسلك..

- إن المدير ليس في حاجة إلى تفسير شيء .. فسنتولى نحن التفسير اللازم..

- إذن افعل يا بني .. وعجل ..

وعندئذ قالت "أفالون" :

- ما معنى هذا يا "جاك" ؟

- إن المدير لا يريده هنا ، وهذا كل شيء ... وسوف نلقي به خارجا إذا لم ينسحب في هدوء ..

ثم تحول إلى "لوبين" قائلا :

- اسمع .. هل تريد ان نجعل وجهك مستويا كالفطيرة ؟

ام تذهب إلى الجحيم بوجه سليم ؟

فاشار "لوبين" إلى المائدة أمامه وقال :

- ولكني لم أفرغ من احتساء شرابي .. وكذلك صديقتي ؟

- يمكنها ان تنتظر .. ولكنك انت الذي ستخرج ..

فابتسم "لوبين" في سخرية وقال :

- لقد كنت دائما اعجب مما يدفع بعض الحمقى إلى طلب المستحيل.. فينبغي ان يعلم كل شخص هنا انني لن اخرج إلا مع مس "دكستر" ..

- هل تريد ان تخرج على قدميك أم محمولا على الأعناق ؟

وكان "جاك" يقول ذلك في هدوء تام كانما يلقي سؤالا عاديا طبيعيا..

وعندئذ نهض "لوبين" في تراخ وهو يقول :

- معذرة يا مستر "برائر" فقد بدأ حديثنا يشوقني كثيرا .. ولكني سوف أكون معك بعد لحظة .. فهؤلاء الأولاد قد اقلقهم الانتظار ويجب ان افرغ منهم أولا ..

ثم تحول إلى "جاك" ، وأردف :

- ما ينبغي ان تكون ولدا شريرا يا "جاك" .. هكذا حذرك ابوك من قبل.. فاذهب الآن والعب مع رفاقك ولا تحاول قطع الحديث على من هم اكبر منك سنا ...

فاشار "جاك" إلى الساقيين ، وتقدموا جميعا دفعة واحدة .. ولكن "لوبين" أسرع في حركة خاطفة بالقضاء على الساقي الذي جاء مع "جاك" ، فصوب إلى وجهه لكمة جمع فيها مائة وثمانين رطلا من العضلات الفولاذية ، فطوحت بالرجل إلى الجدار حيث جلس ممدود الساقين جاحظ العينين فاغر الفم تحت صورة من رسم مستر "بيرفيلد".

وانتهز "جاك" هذه الفرصة الخاطفة فانقض على "لوبين" وطوقه

بذراعه في قوة شديدة شعر بها "لوبين" حول خصره ككلابة من الحديد.. وفي الوقت نفسه انتهز الساقي الثاني الفرصة ليركل "لوبين" في بطنه .. ولكن "لوبين" انحنى إلى الأمام وامسك بركبة الرجل وراح يثنيها في عنف فلم تمض لحظات حتى سمع الحاضرون صوت طقطقة العظام وهي تنخلع من مكانها ، كما سمعوا الصيحة التي انبعثت منه اشبه بعواء ذئب جريح ..

وعندئذ تفرغ "لوبين" للمدعو "جاك" ... فخلص نفسه من قبضته ثم تحول فلكمه بيسراه في فكه لكمة جعلته يرفع قامته ، ثم ثنى بيمناه في بطنه فجعلته ينحني من فرط الألم .. وتوالت اللكمات على هذا المنوال حتى غدا "جاك" اشبه برجل مفرط الأدب يوالي الانحناء امام سيد له عالي القدر ! ..

وبلكمة قاضية ، انزلق "جاك" على ظهره بين الموائد مستقرا في وضع مريح وهو يحدق إلى السقف بعينين جامدتين ..

وعندئذ تحول " لوبين" نحو "افالون" ، قائلا في مرح :

- هل تحبين ان ننصرف يا عزيزتي ؟

ولقد راى "لوبين" فيما حدث في الملهى من تعمد التحرش به والاعتداء عليه ، دليلا جديدا على أن افراد العصابة راوا في اهتمامه بامرهم ما يقلقهم .. فإنهم بعد أن كشفوا شخصيته ، وتبينوا ان له غرضا معينا من التدخل في شؤونهم ، لم يستطيعوا الصبر على فضوله ، ومن ثم بدءوا يناصبونه العداء سافرا .. وإذا كان "لوبين" في حاجة إلى تعديل خطته بعد ذلك ، فإنما كي يكون اكثر حذرا في المستقبل ...

وقد فشل في معرفة المزيد عن موضع مستر "براثر" الصحيح في تلك المغامرة ، او العلاقة بين سائر افراد تلك العصابة التي يحاول "لوبين" الكشف عن خفاياها .. بل إنه فشل ايضا في معرفة حقيقة الدور الذي تلعبه "افالون دكستر" نفسها ... فعلى الرغم من توثق الصلة بينهما ، فإنه لم يستطع معرفة شيء عنها او منها .

ومع ذلك فإنه عندما اتصل بها في التليفون في الصباح التالي ، كان صوته مشبعا بالعاطفة الحارة والحب الملتهب ..

واجابت تحيته قائلة :

- طاب صباحك يا عزيزي ... فكيف حالك اليوم ؟

- إنني شديد الانفعال !

- ولماذا يا ترى ؟

- لأنني على موعد للغداء !

فتنهدت الفتاة في أسى ، وعندئذ ضحك "لوبين" وقال :

- مع فتاة جميلة ... اسمها "افالون" !

فشهقت "افالون" من الفرح ، وهتفت :

- آه ! .. ولكنني لا انوي الحضور !

- محال .. فإنك مدعوة معي للغداء مع الدكتور "زلرمان"

- هل اتصلت به ؟

- إنه هو الذي اتصل بي ثانية فلم أستطع التخلص منه هذه المرة.. والواقع إنني عولت على تلبية الدعوة لأن إلحاحه هذا قد اقلقني ، واود أن أعرف المزيد عنه .. ولا اعتقد انه قادر على تدبير مؤامرة في مطعم (٢١) الفاخر ..

- وهل الدعوة هناك ؟

- نعم وسوف امر بك في الساعة الثانية عشرة تماما ..

وفي الموعد المحدد ، كانا يجتازان باب المطعم .. فلما سال "لوبين" عن المائدة المعدة لهما قيل له إن الدكتور "زلرمان" ينتظرهما ..

وكان الطبيب يقف في انتظارهما وهما يجتازان القاعة الكبرى نحوه ، وقد بدا بطوله الفارع وثيابه الأنيقة وراسه المرفوع المجلل بالشيب أشبه بفرسان العصور الوسطى ..

وهش لهما قائلا :

- يا عزيزي مستر "لوبين" ويا عزيزتي الآنسة "دكستر" .. شد ما يسرني انكما حضرتما في الميعاد .. هلا جلستما ؟

فجلس الثلاثة حول المائدة واستطرد الطبيب : إنني يا مس "دكستر" أجد لزاما علي أن أعتذر عما بدر مني في تلك الليلة ...

فاجابته الفتاة :

- لا عليك يا دكتور ... لقد نلت جزاءك ..

فتورد وجه الطبيب قليلا وهو يلتفت إلى "لوبين" قائلا :

- واعتذاري لك ايضا يا سيدي ..

فغمغم "لوبين" :

- العفو يا دكتور !

وأردف "زلرمان" يقول :

- يمكننا أن ننسى هذا الأمر كله ، ونغدو أصدقاء ، حتى نستمتع بالطعام فإنني أتناول طعامي هنا دائما لأنه يقدم أصنافا ممتازة و ...

ومضى الحديث على هذا النحو ، بينما كان "لوبين" يجوب القاعة بنظراته المستطلعة ويرقب الخدم وهم يروحون ويغدون في خفة وسرعة بثيابهم النظيفة الأنيقة ..

وطلب الدكتور" زلرمان" كؤوسا من الشراب الفاخر قبل الطعام ، فقال لوبين: - إنه جميل منك أن تدعونا للغداء ... فقد كان عمي يقول إن الطعام المجاني هو خير الأطعمة والذها ! ..

فابتسم الدكتور "زلرمان" ، وقال :

- ولكني أشعر يا مستر "لوبين" انك قلما تدعى إلى الطعام ، لقلة من يجاملونك .

فلم يزد "لوبين" على أن هتف :

- آه ! ..

وحول عينيه إلى "افالون" وهي تجلس في هدوء ، وقد اتسعت عيناها في دهشة وتساؤل .. على حين طرق الطبيب موضوعا جديدا فقال :

- لقد تعلمت أشياء كثيرة من عملي كطبيب نفسي ، منها أن الإنسان يعطي في الحياة أكثر مما يأخذ ..

واسترسل الطبيب في بسط نظريته والتدليل عليها بان مستوى المعيشة يتقدم باطراد وأن الجيل المعاصر يعيش عيشة افضل مما كان يعيش اجداده ، مما يدل على ان بعض الناس انفقوا من جهودهم ومن عصارة افكارهم اكثر مما نالوه لقاء ما انفقوا ..

وكان "لوبين" يتساءل في قرارة نفسه عن الهدف الذي يرمي إليه الطبيب من وراء هذا الحديث .. فما من ريب انه لم يدع "لوبين" وافالون" "للغداء كي يبسط لهما نظرياته الفلسفية ولكن لينتظر قليلا، فسوف يكشف الطبيب عن أغراضه ولا باس من ان يلمح له بكلمة لدفعه إلى كشف أوراقه ..

فقال :

- ولكن هل سمعت عن الشرق يا صديقي ؟

- لست افهم ما تعنيه تماما

- إن مستوى المعيشة في الشرق لا يزال في حالة تبعث على الأسى.. ولا يزال الملايين من هؤلاء الناس ينفقون جهودا مضنية في سبيل العيش .. فما الذي ينالونه لقاءها ؟

فلوح الطبيب بيده ، وقال :

- ما الذي ينالونه ؟ الحياة يا عزيزي مستر "لوبين" .. الهبة الوحيدة التي يستمتع بها الإنسان في حرية .. فإذا لم يحسنوا الاستمتاع بها فهذا شانهم...

- اتعني أن إرادة الإنسان فوق كل شيء ، وانني استطيع ان اكون رئيس الجمهورية ، او حارسا للكلاب ؟

- هذا يرجع إليك وحدك ..

- مهلا يا صديقي .. دعنا نبحث حالة (شانج) مثلا .. فارتفع حاجبا الطبيب ثانية ، وغمغم :

- (شانج) ؟

- نعم .. فيحكى ان السيد "شانج" هذا راح يدخن غليونا من الافيون ذات مرة على سبيل التفكه والتسلية .. وكان ذلك بمحض إرادته ..

ولكنه أعاد الكرة ثانية وثالثة .. ولم يكن ذلك بمحض إرادته الآن وإنما بإرادة بعض الناس الذين يريدون الكسب من ورائه .. وانتهى أمر "شانج" بأن غدا مدمنا ، وهجر اسرته ، وبيته ، وكل شيء .. فاين الإرادة الحرة يا سيدي الطبيب إذن ؟

– لقد كانت إرادته هي التي دفعته إلى التدخين أول مرة ..

– ليس تماما .. فبعض الناس هم الذين يسروا له ذلك وجعلوا المخدر في متناول يده .. ودعنا من "شانج" أو الملايين من ابناء بلدته ، وتعال بنا إلى مستر (جورج) الذي يقطن في (نيويورك) ...

– إن مجرى افكارك يدهشني كثيرا يا مستر "لوبين" ..

– لا شيء من ذلك يا عزيزي "زلرمان" .. فالواقع أن حالة "شانج" في الصين هي نفسها حالة "جورج" أو "جاك" في نيويورك . وحتى امريكا الجميلة لا تعدم اناسا لا يبالون بالوسيلة التي يجمعون بها مليونا من الدولارات ماداموا يجمعونه ولا يكترثون للضرر الذي يصيب الغير من جراء ذلك ، و"جورج" أو "جاك" هو الرجل الذي نسعى "نحن" وراءه ، ولن نعدم أن نجده في أوساط الأشقياء واللصوص والنشالين الذين يحبون أن يدخنوا غليونا عقب يوم حافل بجلائل الأعمال ..

فمال الطبيب إلى الأمام ، وقال في لهفة :

– من هم "نحن " يا مستر "لوبين" ؟ ..

– لنفرض اننا نحن الجالسين حول هذه المائدة ، لمجرد فهم المناقشة..

فقالت "افالون" :

– اما أنا فلا .. .فإن لدي من المشاغل الخاصة ما لا يحتمل المزيد .

واستطرد "لوبين" :

– في هذه الحالة تنقسم مهمتك إلى شطرين أولهما نقل المخدر إلى هنا ، والثاني بيعه .. فإذا امكنك حل المشكلة الأولى ، بقيت الأخرى .. ولكن كلاهما ميسور .. فمن الذي يذهب ويعود من الشرق الآن ؟ البحارة بالتاكيد .. وفي وسعهم إحضار البضاعة معهم .. اما العميل

فامره سهل ، إن المدينة ملأى بالأوساط الدنيا التي ترحب بغليون من الأفيون ..

- بالله هذا ما أريد أن أعرفه بالمثل يا "لوبين" ..

فقهقه "لوبين" في جذل ، وقال :

- " زلرمان" ؟

- لست أدري إلى أين يقودنا هذا الحديث يا مستر "لوبين"

وران الصمت فوقهم لحظة راحوا خلالها يرشفون كؤوسهم ، ثم يطلبون غيرها ، حتى قال الطبيب أخيرا :

- أحسب أن من هواياتك يا مستر "لوبين" ، بحث الجرائم الغامضة التي تذكر الصحف أنباءها .. فمثلا مصرع "البرت فولي" بحي (بروكلين) يحيرني كثيرا لشدة غموضه ..

فجذب "لوبين" نفسا طويلا من لفافته وراح يفكر في سرعة .. إن الطبيب يدفعه إلى الموضوع دفعا ، وهي نتيجة لم يكن يتوقعها "لوبين" .. ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فلتكن مشيئته إذن .. فقال :

- نعم .. فحتى في هذه الأيام ذات الرزق الوفير ... ينبغي أن يحزن الطبيب عندما يفقد أحد مرضاه ..

- إنني لم أكن أفكر في المال الذي أربحه منه ..

وكف الطبيب عن الاسترسال بغتة ، ثم أردف :

- كيف عرفت أنه كان ضمن مرضاي ؟ ..

- رأيت اسمه في مفكرة المواعيد في عيادتك ..

- ولكن قل لي يا مستر "لوبين" .. متى جئت إلى عيادتي ؟

فتظاهر "لوبين" بالدهشة ، وأجاب :

- آه ! .. حسبتك تعلم ذلك .. فقد اقتحمتها مساء الخميس الماضي..

- ٦ -

وجم الدكتور "زلرمان" لحظة أن سمع هذا الاعتراف ، وراح ينظر إلى "لوبين" في برود قبل أن يقول :

- هل من عادتك اقتحام بيوت الناس ؟

- لست أسميه كذلك عادة يا صديقي ، فإن هذه الكلمة تعني الحمق والغباء...

والواقع انه ليست لي عادات معينة قط ، إلا إذا كنت تدعو التنفس عادة .. فهو عادة اتعلق بها تعلقا شديدا وليس في نيتي التخلي عنها.. وقد صادفت الكثيرين ممن ارادوا ان يحملوني على تركها ، ولكنهم الآن في عداد الراحلين الأعزاء ، نزلاء الجحيم .

فهز الطبيب راسه ، وقال :

- ولكنك تعلم انك ارتكبت جريمة شنيعة ، بالسطو على عيادتي ..

- إنني اعترف بانها تعد جريمة من الوجهة القانونية .. ولكني حسبتك تفهم ظروفي ، فإنني لم افعل غير تطبيق نظريتك ، إذ اطعت حافزا خطر لي ..

- ولكنني باعتباري ضحية هذه الجريمة من حقي أن اطلب منك إيضاحاً..

- الم اقل لك إنني كنت اطبق نظريتك ؟ ولكن هل مستر "فرديناند بيرفيلد" هو الذي رسم تلك اللوحات ؟

فظل الدكتور "زلرمان" على جموده ، وقال :

- دعك من هذه الفلسفة فهي شيء أخر .. وحتى يعتنق العالم هذه النظريات فإن القانون هو القول الفصل .. وطبقا للقانون يا عزيزي "لوبين" ، تكون قد ارتكبت جريمة يعاقب عليها ..

- الا ترى أنك تغالي في تصوير الأمر يا "ارنست" ؟

- إنني اريد أن اتاكد من انك تفهم موقفك على حقيقته .

- حسنا .. لقد ارتكبت جريمة إذن .. وقد سطوت على عيادتك ، كما سطوت على مسكن المرحوم "البرت فولي " ايضا ، وقد حيرني مصرعه كما حيرك يا عزيزي "ارنست" .. فماذا تريد ؟

وعندئذ حول الطبيب راسه ونظر إلى ناحية معينة من القاعة ثم اشار بإصبعه.

وتبع "لوبين" إشارته هذه فراى رجلين يجلسان إلى مائدة بعيدة ،

يهمان بالنهوض ، وقد راح أحدهما يدفع شيئا صغيرا أسود اللون تحت المائدة .. وما لبثا أن راحا يشقان طريقهما بين الموائد متجهين نحوهم ، ولم يكن في مظهرهما ومشيتهما أي ريب في أنهما من رجال البوليس السري ..

فلما بلغا المائدة ، قال لهما "زلرمان" :

- هل سمعتما كل شيء ؟

فأوما أقصر الرجلين برأسه ..

وانحنى "لوبين" ونظر تحت المائدة فوجد ميكروفونا صغيرا مثبتا بأسفلها ، يمتد منه سلك رفيع ملتصق بأحد قوائم المائدة حتى يختفي تحت البساط . فلما رفع رأسه بعد ذلك ، كانت تبدو في وجهه علائم الإعجاب ، وقال :

- هذه يا عزيزي الدكتور مسألة طريفة ... فقد كنت أحسب أننا نتحدث حديثا خاصا ولم يخطر لي أن للبوليس دخلا فيه ..

فلم يعبأ به الدكتور "زلرمان" وقال للشرطيين :

- هذا الرجل هو "ارسين لوبين" ، المجرم المعروف الذي تطلبه حكومات دول كثيرة في العالم بتهم عديدة من السطو والسلب والابتزاز وغير ذلك ..

- إنها مجرد شبهات يا عزيزي ، وليست تهما ثابتة ..

فتحول أحد الشرطيين إلى "لوبين" ، ووضع يده على ذراعه قائلا :

- يحسن أن تأتي معنا ...

فقال "لوبين" في هدوء ، بلهجة آمرة :

- مهلا لحظة ..

ثم نظر إلى "زلرمان" ، وقال :

- لقد استقيت معلوماتك من مصدر ما ، ولم تستنتجها من تلقاء نفسك ، حتى تنصب لي هذا الشرك .. فهل "افالون" هي التي أرشدتك ؟

فصاحت الفتاة :

- أواه يا "لوبين" ؟ كلا يا عزيزي .. كلا ..

وكان صوتها متهدجا ، تبدو فيه اللهفة والاستنكار .. ولم يعرف "لوبين" إن كان ذلك حقيقة أم تمثيلا ! ولم يحاول النظر إليها ، إذ كان يحدج الطبيب بانظار متفرسة ..

فقال هذا :

- يكفي ان يفهم المرء عقلية معينة ، حتى يدرك أفعال صاحبها جميعا ... فقد زرت مسز "جيرالد ملدون" "وجيمس براشر " ... وكان هذان صاحبي اثنين من الأسماء الثلاثة المدونة ... بمفكرة المواعيد .. فيتبع ذلك انك زرت "البرت فولي " ايضا .. وكان من الواضح انك انت الذي ابلغت النبا إلى البوليس تليفونيا ، إذ كانت كلماتك مما يتفق وأسلوبك تماما .. ولقد علمت ان شخصا ما كان موجودا في عيادتي في الوقت الذي يجب الا يكون بها احد قط ، فارتبت في انك ذلك الشخص الذي لبى نداء التليفون .. ولكن كان ينقصني ان اسمع اعترافك بما يؤيد استنتاجاتي هذه ..

فارتسمت على فم "لوبين" ابتسامة عريضة ، وقال في جذل :

- لقد فهمت .. وإنني يا عزيزي "ارنست" قد ازددت إعجابا ببراعتك ، وتضاعف تقديري لمواهبك .. وسوف انهج في الحياة نهجا اخر في المستقبل .

- هذا إذا اتسعت لك يا "لوبين" .. فقد كان "فولي" قتيلا عندما تركت مسكنه ، والبوليس دائب البحث عن قاتله .. ولا ريب انك تعلم ان القتلة في هذه البلاد ينتهون فوق كرسي مريح ..

- ليس في هذه المرة ايها الساحر الكهل ..

ثم التفت إلى الشرطيين ، وقال :

- هل نبدأ رحلتنا إلى "سنغ سنغ" ؟

فعبس أطولهما قامة ، وقال في خشونة :

- هيا .. هيا ....

فلما استوى "لوبين" على قدميه ، نهضت "افالون" واقفة بجواره ، فراح يتفرس في عينيها بنظرات عميقة ساخرة دون أن تطرف الفتاة أو تتزعزع ... وأخيرا غمغمت .

- إنني لم افعل يا "لوبين" .. لم أفعل ..

فقبلها "لوبين" قبلة خفيفة ، وقال :

- كوني بنتا طيبة .. ولا تنسي أن تاكلي نصيبي ...

- ولكنك لن تذهب هكذا كالحمل .. الا تحاول أن تفعل شيئا للدفاع عن نفسك؟

فاتسعت ابتسامة "لوبين" ، وقال :

- هذه مشيئة الله يا بنيتي ! .. شكرا على الشراب يا دكتور !

ومضى مرفوع الراس منتصب القامة بين الشرطيين ، دون ان يثير مرورهم بين الموائد إلا القليل من انتباه الحاضرين ..

ولم يفته أن يفكر في وسيلة بارعة للفرار من الشرطيين عندما يخرجون إلى الطريق .. ولكنه من جهة أخرى لم ير جدوى في أن يغدو هاربا من وجه العدالة تطارده قوات البوليس وتعوقه عن إتمام مهمته.. ومن يدري ؟ فلعل "لوبين "كان يخفي وراءه سيلا متدفقا من الأفكار والخواطر .

ولكن قناع الهدوء وقلة الاكتراث التي كانت تكسو وجه الدكتور "زلرمان" قد امعن في تطبيق نظرياته النفسية واستنتاجاته فحدس مقدما ان "لوبين" سوف يحاول الفرار ، فاعد لذلك مشهدا مسرحيا جديدا ؟ .. أو لعله الآن يجلس في المطعم هادئا وقد أصاخ بسمعه مترقبا دوي طلقات الرصاص التي تريحه من تدخل "لوبين" إلى الأبد ..

وكذلك لفظ "لوبين" فكرة محاولة الفرار .. وقنع بالانتظار والأمل في أن تكون (الزنزانة) التي سيودعونه بها في السجن ذات نافذة على الفضاء ! ..

ودعا الشرطي الطويل عربة ، والقى أوامره على سائقها بصوت خافت ، ثم جلس فيها "لوبين" بين الرجلين .. وبعد برهة قال "لوبين" للشرطي الذي إلى يساره :

- ما قولك في كاس من الشراب ؟

ولكنه صاح به :

- اصمت ! ..

ومضت دقائق ، وإذا بالشرطي الطويل ينظر إلى ساعته فقال "لوبين":

- على فكرة .. ما هي الساعات المحددة للزيارة في سجنكم ؟

فصاح به زميله :

- اصمت ! ..

وطال سير العربة .. واجتازت (سنترال بارك) ثم عرجت على البحيرة ، واخيرا مضت تسير بجوار حديقة الحيوانات فنظر "لوبين" نظرة ذات مغزى إلى الأقفاص ، ثم قال :

- ما هو الموعد المحدد لعودتكما ؟

وعندئذ صاح به الرجلان معا :

- اخرس ! ..

فاشعل لفافة ، وراح ينفث دخانها في تفكير عميق ، وهو يعجب إلى أين يمضي الشرطيان به ! وزاد من قلقه أن كان أطولهما لايفتا يتطلع إلى ساعته بين لحظة واخرى .. وخشي ان يكون في نية الرجلين أن ياخذاه إلى احد السجون البعيدة المنعزلة حيث لا يستطيع الاتصال باحد ..

ونظر الشرطي مرة اخيرة إلى ساعته ، ثم صاح بالحوذي :

- كفى ! ..

فاوما الحوذي براسه ، وعاد بالعربة خببا و"لوبين" يزداد عجبه بين لحظة واخرى ، حتى بلغ ذروته عندما وقفت العربة امام فندقه ! ..

وعندئذ خرج الشرطيان عن عبوسهما وقال القصير :

- حسنا .. هيا اصعد إلى حجرتك ..

فقال "لوبين" ذاهلا :

- وبعد ؟ ثم ماذا ؟

- سوف ترى !

فاوما براسه في جذل ، ثم اسرع إلى حجرته ، فالفى جرس التليفون

يرن رنينا متواصلا ..

وإذا بصديقه "هاملتون" يقول له :

- يحسن بك ان تكون أكثر حذرا .. وإلا فهل تظن انني لا عمل لي أو لرجالي إلا إنقاذك من المازق التي تزج بنفسك فيها ؟

خيم الصمت فترة طويلة ، عقب انصراف "لوبين" مقبوضا عليه ، على "افالون دكستر" والدكتور "زلرمان" .. فكانت الأولى مستغرقة في التفكير جامدة الأسارير لايبين محياها الساكن عما يعتمل في نفسها من اضطراب .. على حين كان الطبيب يداعب باصابعه الدقيقة كاس الشراب وينقر على علبة سجائره الذهبية وهو يجيل في القاعة نظرات متراخية على غير هدى ودون قصد معين .. واخيرا قال :

- إنني اسف ..

وشفع ذلك بابتسامة ملؤها العطف والشفقة ، فهزت الفتاة كتفيها قائلة :

- ولماذا تاسف ؟

- إنني لم اكن أود يا مس "دكستر" أن اسبب لك حزنا او اجرح فؤادك..

- ولكنني لا اعنى بغير نفسي يا دكتور ..

- هذه يا عزيزتي اعظم ميزة فيك ... فإن المرء لا يتوقع من فتاة مفرطة الجمال مثلك أن تكون متعلقة بالحب وهذه الأوهام الأخرى .. إذا جاز لي ان اقول ذلك .

- لك ذلك يا دكتور .. ومهما يكن من أمر ما تقول فإنه يفتح لي باب الخروج .. وداعا ..

فرفع يده الناصعة البياض ، وقال :

- لا تذهبي .. فإنك لم تتناولي طعامك بعد ! ..

- لست جائعة ..

- إذن أصغي إلي قليلا .. فلدي معلومات قد يكون من صالحك أن تعرفيها ..

واستطرد الطبيب :

- إنها بشأن مستر "لوبين" ... وعلى الرغم من انه يسرني أن اصارحك بانني أهتم اهتماما شخصيا بسعادتك ورفاهيتك ، فإن ما أود قوله لك لا يغدو نصيحة فنية أبديها لك بحكم مهنتي كطبيب نفسي ..

فابتسمت "افالون" في تكلف بينما استطرد الطبيب :

- ما من احد لا يعترف بانه شخص يبدو من ابطال الأساطير والأحلام ، وله جاذبية مغناطيسية تجذب إليه النساء الخياليات ، حيث يتمثل لهن فيه ما ينشدنه من سحر وشهرة ومال ومغامرات ولكن ما اريد أن اقوله يا مس "دكستر" هو ان مثل هذا الشخص دائم التقلب ، كثير الأهواء والنزوات ...

فاتسعت ابتسامة "افالون" ، بينما تابع الطبيب حديثه :

- كما أن مسلكه في الحياة دائب التعثر في المغامرات والجرائم والأخطار .. وقد علمت ان كل من ارتبط معه برباط وثيق ، ذكرا او انثى، قد لقي حتفه بطريقة ما ..وإذا كان قد نجا من الموت حتى الآن ، فلا مناص من أن ياتي يوم يا عزيزتي مس "دكستر" تتخلى عنه آلهة الحظ ، فيرد الهلاك ...

فنهضت "افالون" بغتة وهي تقول في حنق :

- وهكذا إلى أخره .. الا تدعنا من هذه الفلسفة يا دكتور فقد رايته بنفسك يتهمني بانني وشيت به إليك واطلعتك على تحركاته وافعاله .. ومن ثم فلست أرى خطرا يتهددني من أعدائه كما تلمح لي .. وداعا .

ومضت في خطى حثيثة إلى (جراج) المطعم ، والغضب يعصف بنفسها، فاستقلت سيارة إلى مركز الشرطة لتسال عن "لوبين" ...

وفيما كانت ترقى الدرج العريض بإدارة البوليس ، إذا بـ "كاي ناتيللو" "وفرديناند بيرفيلد" يلحقان بها فيقول الأخير بصوته الشبيه برنين الأجراس :

- أهلا بك يا عزيزتي ..

بينما لم تقل المراة شيئا ..

وعاد "بيرفيلد" يقول :

- لقد كنا نسير في الطريق فلمحناك تصعدين الدرج . ولما كنا نريد أن نراك وكنا دائبي البحث عنك ، فقد وجدنا الفرصة سانحة...

فقاطعته "افالون" :

- تبحثان عني ؟

وكانت "كاي ناتيللو" هي التي اجابت بصوتها الشبيه بحشرجة المنشار :

- نعم يا "افالون" .. هيا هيا يا ابنتي !

فقال "فرديناند بيرفيلد" :

- إن لدينا خبرا لك يا عزيزتي ، هو ان (ماجنا مونت) سيقوم الليلة بتصوير مشهد في مقصف (كوكي) وسوف نكون جميعا هناك ، كما انك ستلقين بعض اغانيك .. فهيا بنا لأن (كوكي) تريد أن تستوثق من انك ستشتركين في البرنامج قبل التعاقد مع مستر "بفيفر" ؟

- وهل مستر "بفيفر" ...؟

- "بفيفر" المخرج الكبير يا عزيزتي ... سوف يخرج لكما فيلما رائعا..

فترددت "افالون" برهة وهي لا تستقر على رأي معين ، او تجد ما تقوله ... ولكنها قالت اخيرا :

- حسنا .. سوف الحق بكما بعد قليل . هل اجدكما عند "كوكي" ؟ ..

- ولكنك ستذهبين معنا ... ولا شك انه ليس لديك ما يهمك في مثل هذا المكان او نزلائه من المجرمين .. ماذا جئت تفعلين هنا ؟

- لقد فقدت مشبكا ذهبيا وقرطا في إحدى سيارات الأجرة ، فظننت انه يمكنني السؤال عنهما هنا .. ولو انه يخيل إلي انني لن اجدهما..

- ربما ... وعلى اية حال فإني قادم معك لمعاونتك في التحدث إلى هؤلاء المتوحشين ذوي الثياب الزرقاء .. وبعدئذ نذهب معا !

وعندما فتح مستر "جيمس براثر" باب مسكنه للسيدين اللذين طرقاه، لم يكن يحسب انه سيكون لزيارتهما ذلك الأثر الخطير في نفسه وفي كيانه مثل ما وقع له بعد ذلك ... فعندما سالهما عما يريدانه ، اخبراه انهما من مندوبي مصلحة الضرائب ، اشار بيد مرتعشة إلى الاريكة واخذت عيناه البارزتان تدوران في محجريهما وهو يقول :

- تفضلا بالجلوس .. هل من خدمة أستطيع اداءها لكما ! .. أهناك خطا في ضريبة الدخل ؟

ولكن أحد الرجلين ظل ينظر إلى الأرض دون أن يقول شيئا ، على حين ازاح الثاني قبعته إلى الخلف وراح يحدق إلى السقف كان به شيئا يثير عجبه ..

ولم يجلس "براثر" ، إنما ظل يفرك يديه في اضطراب وهو يقلب نظراته بين الرجلين ، في حيرة بالغة .

واخيرا قال احدهما في تراخ :

- هل تعرف رجلا يدعى "سام جفريز" ؟

فقطب "براثر" حاجبيه ، واجاب :

- "جفريز" ؟ .. كلا لا احسبني اعرفه ..

- ولكنه قال إنه جاء إلى هنا لمقابلتك . وكان دقيقا في وصف المكان..

فازداد تقطيب "براثر" ، وسارع قائلا :

- اوه ! .. نعم .. اظنني عرفت من تعنيه .. أجل لقد كان هنا حقا .. ما شانه؟..

فرفع الرجل الآخر راسه ، وقال :

- كيف حال "شنغهاي" الآن ؟ .

فاهتزت اهداب "براثر" سريعا ، على حين استطرد الأول :

- وعلى الأخص رقم ٩٠٣ بشارع "بابلنج رود" ؟ ..

وازداد اهتزاز اهداب "براثر" سرعة ، ولكنه قال :

- لست اعرف عن أي شيء تتحدثان ..

فلم يزد الرجلان عن التنهد متعجبين بينما اردف "براثر" :

- كما انني لا اعرف سبب اهتمام مصلحة الضرائب بي !

فمال أكبر الرجلين إلى الأمام قائلا :

- أعتقد أن "سام جفريز" قد احضر لك لفافة ما .. أو بضع لفافات؟..

- نعم .. لقد احضر لي من "شنغهاي" تمثالا من الخزف يمثل راهبا شيخا يحمل سلة ملأى بالسمك .. وهو تحفة فنية حقا ...

- أين هو ؟

- أوه ! ... لقد اعطيته إلى .. إلى صديقة لي ..

فزام الرجلان معا ، ثم مضى اكبرهما قائلا :

- وأين قابلت "جفريز" هذا ؟ .

- آه ! .. لست اذكر تماما ..

فحدجه الرجل بنظرة صارمة ثم قال :

- لقد قابلت" سام جفريز" للمرة الأولى ، وفقا للمعلومات التي لدينا في مكان يدعى (مقصف كوكي للبحارة) في ١٨ اغسطس ، وفي تلك المقابلة عقدت معه اتفاقاً معينا قبل أن يرحل الفتى بباخرته .. وفي ٣ نوفمبر قابلت "سام جفريز" هنا ، واحضر معه "جوهيمان" .. فلماذا ؟.. واي اتفاق عقدته مع كليهما ؟ ..

- لو انكما أيها السيدان .. تسمحان بإفهامي ما تسعيان وراءه لكان من المستطاع أن اساعدكما .. ولكنكما حتى الآن تتكلمان على غير هدى وفي غير معنى ..

فقال اصغر الرجلين :

- ينبغي ان تجيب على اسئلتنا يا مستر "براثر" وإلا ففي وسعنا أن ناخذك معنا إلى المدينة ، ونثير امامك الكثير من المتاعب ..

- ولماذا ؟ إنني لا افهم سر هذه المهزلة بعد ، كما انكما لم توجها لي اتهاما معينا ..

- ما الذي تعرفه عن رقم ٩٠٣ شارع "بابلنج رود" بشنغهاي .. وما

الذي قلته لـ "سام جفريز" ؟ .. ومن هو الشخص الذي تاتمر بامره ؟ ..وكيف تحسب أنك سوف تنجو من هذه الورطة ؟ ..هذه يا صديقي بضعة أسئلة معينة إذا شئت .

- ولكن .. ولكن .

- فهمت لعل الأفضل إذن أن تاتي معنا يا مستر "براثر"

فراح "براثر" يجيل نظراته بين الرجلين ، ثم امعن في التفكير .. وكانما استمد الجراة من فكرة معينة طرات له ، إذ ما لبث أن قال في حزم :

- إني لا اعرف ما تسعيان وراءه .. ولكن اعرف انني مواطن لي من الحقوق الدستورية ما يكفل لي أن أرفض ما تطلبانه ما لم توجها لي اتهاما معينا بطريقة رسمية .. ولن اضيف شيئا إلى ذلك .. فمع السلامة ..

فنهض الرجلان متمهلين ، وراحا يحدجانه بنظريهما لحظة طويلة ، قبل أن يقول اكبرهما :

- حسنا .. على رسلك إذن ..

وما كادا ينصرفان حتى أسرع "براثر" بدوره ، فاختطف قبعته وهرع إلى الطريق حيث استقل سيارة مضى بها إلى عيادة الدكتور "زلرمان" في بارك افنيو..

ولم يسر "زلرمان" لرؤيته ، وراح يصغي إلى قصته مقطب الأسارير ، واخيرا قال :

- وهكذا قدتهما نحوي راسا يا سيد "براثر" ! .. لقد كانت هذه خطوة غير موفقة منك ..

- إنني لم اقدهما إليك .. فلم يتبعني أحد ..

- هل لي أن اسالك كيف عرفت ذلك ؟ .. إنك في حالة من الاضطراب بحيث إذا تبعك فيل لما فطنت إليه ..

وتناول "زلرمان" التليفون ، وأدار قرصه على رقم معين ، ثم ما لبث أن قال :

– هات اثنين من رجالك وتعال في الحال ..

فهمهم "براثر" :

– ما الذي تريد أن تفعله ؟

ولكنه لم يتلق من الطبيب ردا .. فكرر السؤال مثنى وثلاث في فزع ظاهر ، دون أن ينال جوابا ..

وأخيرا قال الطبيب في صوت بطيء صارم النبرات :

– إن أحد الشروط الرئيسية لمؤسستنا هذه ، هي أن يعنى كل فرد فيها بنفسه كما تعلم .. ولكنك بحمقك قد وضعت نفسك في مركز شديد الخطر ولذلك غدا من مصلحة المؤسسة أن تحميك ..

– هل تعني أنك لن ..

– أقضي عليك ؟ .. معذرة يا عزيزي "براثر" .. لقد كنت أقول لك إن من الشروط الأساسية لجماعتنا أن نعنى بأنفسنا .. كلا .. كلا .. ولكن هلا حدثتني خلال انتظارنا هذا ، عما قلته لرجلي الحكومة بالضبط؟..

– لم أقل لهما شيئا ، إنما كان يبدو أنهما يعرفان أكثر مما يتوقع أن يعرفاه .. ولما رأيت أن أسئلتهما قد بلغت حدا خطيرا ، فعلت ما يجب فعله وطردتهما ..

– ما الذي كان يبدو أنهما يعرفانه ؟ ..

– لقد ذكرا "جفريز" و"هيمان" ، وكانا يعلمان أن الفتيين أحضرا لي شيئا من شنغهاي ، وسألاني عما أعرفه عن رقم ٩٠٣ شارع ، "بابلنج رود" ..

– وقد أنكرت ذلك بالتأكيد ..

– بالتأكيد .. ولكن كيف عرفا كل ذلك ؟ ..

– من يدري ؟ .. إن البحارة إذا امتلأت جيوبهم بالمال يشربون حتى الغياب عن الوعي ، ويثرثرون كثيرا .. ومن سوء الحظ أن "جفريز" و"هيمان" ما كانا يستطيعان الثرثرة إلا عنك وحدك .. ولكنك لن تفشي السر قط ..

فازدرد "براثر" لعابه وغمغم :

- بلا ريب .. وإني أعرف ما سالاقيه من متاعب ، ولكن إذا لم تتخل عني ...

وساد الصمت برهة .. وكان يبدو أن الدكتور "زلرمان" قد قال كل ما يريد قوله، وأن "جيمس براثر" كان يخشى أن يقول شيئا آخر .. وأخيرا جاءت السكرتيرة الشقراء لتقول إن مستر "كاربنتر" واثنين من أصدقائه يريدون مقابلة الطبيب ، فامرها بإدخالهم على الفور ..

وقدم الطبيب القادمين إلى "براثر" ، ثم قال لـ "كاربنتر" :

- إن مستر "براثر" لسوء الحظ قد استرعى أنظار بعض الفضوليين، بحيث غدا لزاما علينا أن نضعه في مأمن من الخطر الذي يتهدده من رجال الأمن .. وأنت تعرف ما ينبغي صنعه ..

فنهض "براثر" قائلا :

- لست أدري كيف أشكر لك هذه العناية يا دكتور "زلرمان" ..

فلوح الطبيب بيده في تواضع وهو يقول :

- هراء .. إنني أؤدي ما يجب لك من حق علينا ..

وكان "براثر" يثني أصابعه في توتر بينما كانت السيارة السوداء الطويلة تدرج بهم في شوارع نيويورك أكثر من الساعة حتى خلفت المدينة وراءها وراحت تسير في الطرق الزراعية .. وكان يجلس في المقعد الخلفي بين زميلي مستر "كاربنتر" بينما كان هذا يقود السيارة في براعة إلى الهدف المجهول الذي يقصدونه ..

فلما مشت بهم السيارة ساعة أخرى ، انحرف بها "كاربنتر" إلى ممر جانبي ضيق قطع فيه زهاء ثمانمائة متر ، ثم أوقف السيارة ونزل منها وهو يقول :

- هيا بنا ..

فتبعه "براثر" في قلق خفي ، وسار معه بجانب سياج من الأسلاك الشائكة إلى بقعة أينعت بالخضرة الفيحاء ، وازدهرت بأشجار التفاح .. ولكنه لم ير أثرا لبيت أو مزرعة . فوقف مكانه وقال في صوت متهدج :

- إلى اين تاخذني ؟ ..
فتحول "كاربنتر" ليواجهه ، وهو يقول :
- سوف تبقى هنا ..
وفي مثل وميض البرق ، استل مسدسا من جيبه ، وسدده إلى قلب "براثر" .. ولعل الطلقة الأولى كانت كافية ، لولا أن السيد "كاربنتر" ، وهو رجل ذو ضمير، اتبعها باخرى حتى يستوثق من موت ضحيته سريعا ..

- ٨ -

تسلل "لوبين" من السلم الخلفي للفندق متسربلا بالظلام والخفاء ، ومرتديا ثيابا بالية لبحار قديم العهد بالبحار ، وقد قوس كتفيه قليلا حتى يبدو متوسط القامة وليس فارع العود كعهده .. وكان تنكره بارعا فالشمس تلوح بشرته ، وتضفي لونا احمر على شعره وشاربه والشعيرات النامية من لحيته ، بحيث لم يكن في وسع احد حتى اخص معارفه ان يتبين فيه "ارسين لوبين" الذي يعرفه ويالفه ..
وخرج من الفندق دون أن يراه أحد .. فمضى راسا إلى مقصف البحارة الذي تديره "كوكي" ، حيث راحت حارسة الباب البدينة ذات الشعر المصبوغ تفحص أوراق شخصيته في إمعان شديد ، قبل أن تمنحه ابتسامة عريضة بدت خلالها اسنانها الذهبية ، وهي تقول :
- يسرنا أن نراك معنا يا مستر "سيمونز" .. فتفضل بالدخول واعتبر نفسك في منزلك ..
وتفضل "ارسين لوبين" بالدخول .. فوجد نفسه في قاعة رحبة ملأى بالموائد الخشبية والمقاعد التي ابلاها طول الاستعمال ، وفي ركن منها معزف قديم ، وقد زينت جدرانها بنقوش ورسوم يدوية لنساء عاريات، وبقرب المدخل منضدة طويلة عليها بعض الصحف والمجلات الشعبية .. وكان في نهاية المقاعد مقصف طويل وقف خلفه رجلان في ثياب خفيفة ، يوزعان الشطائر والحلوى وزجاجات من شراب مرطب خال من الكحول ..

وكانت القاعة مكتظة برجال من أعمار مختلفة ، يرتدي أكثرهم ثيابا مدنية بينما الباقون في زي البحارة المعروف ، وقد انهمك بعضهم في لعب الورق أو النرد ، على حين كان البعض يرقصون مع فتيات خصصتهن "كوكي" للترفيه عن ضيوفها . وهن فتيات جميلات في مقتبل العمر ، يرتدين مرايل بيضاء رصعت بنجوم زرقاء وبينها - في وشي جميل - كلمتا "مقصف كوكي" .. وفي الوقت نفسه كان لفيف من الخدم الرجال يروحون ويغدون بين الموائد لجمع الزجاجات الفارغة والصحاف المستعملة ..

فلما دخل "لوبين" ، سار نحو المقصف وتناول زجاجته وصحفه وشطائره ، وتحول نحو القاعة مخترقا الزحام وسط سحابة كثيفة من دخان السجائر تعلقت تحت السقف المنخفض ، وهو يفكر في خطوته التالية وما ينبغي أن تكون ..

ووقفت أمامه إحدى الفتيات المضيفات قائلة في مرح :

- هالو ! . هل أخذت كل ما تريده ؟ ..

- نعم .. شكرا أيتها الآنسة ..

- آه ! .. لا ريب أنك إنجليزي ؟ ..

- تماما أيتها الآنسة ! .. من " أولد جيت" .. ولكن كيف حدست ؟ ..

- لقد اعتدت التمييز بين اللهجات المختلفة .. أهذه أول زيارة لك ؟ ..

- نعم أيتها الآنسة ..

- ومتى جئت إلى نيويورك ؟ ..

- في الليلة الماضية فقط .

- حسنا .. إنك لم تضع وقتا طويلا قبل الاهتداء إلينا .. ألك أصدقاء هنا ؟..

- كلا أيتها الآنسة ! .

وكان "لوبين" ينطق بهذه الكلمات عندما وقع نظره على وجه يعرفه ، كان صاحبه يجلس بمفرده ، بعد أن انصرف زميلان له للتو .. وكان الرّجل يدفع مقعده ويتلفت حواليه عندما رآه "لوبين" ، فقال للفتاة

مستدركا :

- يا إلهي ! .. هذا صديق أعرفه .. معذرة ايتها الآنسة واندفع وسط الزحام ، حتى بلغ مائدة ذلك الرجل فوضع زجاجته فوقها وهو يقول :

- مرحى أيها الزميل ! .. إنني واثق انني أعرفك .. اليس اسمك "باتريك هوجان" ؟ ..

فنظر إليه الآخر بوجه ممتلئ لا يزال "لوبين" يذكر حمرة الخجل التي كانت تعلوه عندما قدمته "كوكي" إلى جمهورها في الليلة الأولى لزيارة "لوبين" للملهى.. وقال :

- بلى يقينا يا اخي ! .. "هوجان" هو اسمي .. فما اسمك انت ؟ ..

- "توم سيمونز" .

- لست اذكره .. ولكن لا تبال بذلك .. اين التقينا من قبل ؟ ..

- ربما كان ذلك في "مورمانسك" ، في اثناء الحرب ؟ ..

- لا ريب في ذلك . فقد قضيت بها أسبوعين في رحلتين متواليتين ..

وكان صوت "هوجان" مرتجفا ، ورائحة الشراب تفوح من فمه مما ينم عن انه شرب كثيرا قبل ان يحضر إلى المقصف .. ونظر "لوبين" حواليه وهو يقول :

- يا له من مكان ظريف !

- ليس ثمة افضل منه في (نيويورك) كلها يا "توم" .. كما ان " كوكي" نفسها .. يالله ! إنها ملكة ! . وهي تغني تلك الأغاني الجميلة التي تجعل اباك نفسه يحمر وجهه خجلا ! ..

- يا إلهي ! اهي كذلك ؟ ..

- يقينا إنها كذلك .. الم تسمعها من قبل ؟ ..

- نعم لم أسمعها .. هل ستحضر الليلة ؟ ..

- بلا ريب .. سوف تحضر من دقيقة لأخرى ، ولهذا جئت إلى هنا .. ولولا ذلك لفضلت كاسا من الشراب وفتاة اقضي السهرة معها ..

ثم مال قليلا نحو "لوبين" ، وقال وهو يغمز بعينه :

- ولكن "كوكي" تستطيع أن تدبر لك ذلك أيضا إذا كنت صديقا لها !..

فلعق "لوبين" شفتيه ، وهتف في لهفة :

- يا لله ! .. وهل أنت صديق لها ؟ ..

- يقينا إنني صديقها ! .. لماذا ؟ .. لقد أخذتني ليلة السبت الماضي مع صديق لي إلى ذلك النادي العظيم الذي تملكه ، وقدمت إلينا أوفر قسط من الشراب يمكننا احتماله ، فقضينا وقتا ممتعا كاننا لوردان عظيمان حتى مطلع الفجر وقد قالت إننا نستطيع أن نعيد الكرة كلما أردنا ذلك .. وما دمت صديقي يا "توم" ، فسوف تعاملك بالمثل ..

- يا إله السموات ! .. هل أنت واثق من ذلك ؟ ..

- يقينا يا صديقي ! .. ولو أني أعجب كيف يتلهف كهل مثلك على هذه الأمور!

- إنني لست من الكهولة بحيث أزهد فيها ..

وفي تلك اللحظة انحنى شبح فوق المائدة وراح يمسحها بمنشفة ملونة وكانت اليد التي امتدت بها شاحبة اللون طويلة الأصابع ، لاحظ "لوبين" أن أظفارها قد صقلت بطلاء بنفسجي اللون .. فلم يجرؤ على الاعتقاد بأن شيئا كهذا يمكن أن يكون حقيقيا ، وراح يرفع عينيه في حذر حتى استقرتا على ذلك الوجه النحيل والشعر الذهبي ..

نعم ، لقد كان ذلك "فرديناند بيرفيلد" حقا ..

ونظر مستر "بيرفيلد" إلى "لوبين" في إمعان ، ولكن لم تبد عليه لمحة تنم عن أنه عرف حقيقته .. وما لبث أن حول نظراته إلى "هوجان" ثم قال :

- أثمة ما تشكوان منه يا صديقي ؟ ..

فشكره "هوجان" ، وعندئذ حياهما "بيرفيلد" بابتسامة وانصرف ..

وما كادت تمضي لحظة حتى تبدلت أسارير "هوجان" ، وصاح في ابتهاج :

- ها هي ذي يا "توم" ! .. ها هي ذي "كوكي" ! ..

وكانت الأنوار قد بدأت تخفت في القاعة عندما قال ذلك ، فبدت "كوكي" للعيان وهي تتقدم نحو الضوء الوحيد الذي ظل ساطعا على

منصة صغيرة بجوار المعزف .

وكانت على محياها تلك الابتسامة التقليدية التي تقابل بها زبائنها.. وانثنت تحيي الحاضرين وترد على هتافهم بتحريك يدها وخصرها، ثم بدأت ترتل أغانيها المعهودة ، واحدة بعد الأخرى ، وهي أغان وقحة مبتذلة يندى لها الجبين خجلا ، والحضور لا يكفون عن الصياح والهتاف في حماسة منقطعة النظير ، حتى بح صوتها وتورد وجهها من فرط المجهود الذي تبذله ، وتصبب العرق منه غزيرا .. وفي خلال ذلك كان "لوبين" لا يكف عن الهتاف والاستحسان والتصفيق حتى يجيد الدور الذي يؤديه أمام "هوجان" ..

وأخيرا كفت "كوكي" عن الغناء ، وهي تلهث من فرط التعب والجهد الذي بذلته ، واتجهت إلى الحاضرين قائلة :

- هذا كل شيء الليلة يا أبنائي .. فإلى اللقاء غدا ..

وهبطت من فوق المنصة فاستقبلتها الأيدي بالمصافحة والتلويح في حماسة بالغة .. ونهض "باتريك هوجان" وهو يدفع المائدة أمامه ويصيح بصوت مدو :

- هالو .. "كوكي" ! ..

كانت سترته قد ارتفعت قليلا عند وقوفه ، فرأى "لوبين" في جيب سرواله الخلفي مسدسا آليا ، من طراز لا يحمله البحارة قط ..

واشعل "لوبين" لفافة ، وهو يفكر في هذا الاكتشاف الجديد ، ويحاول أن يفهم حقيقة "باتريك هوجان" وموقفه في هذه المغامرة كلها ..

* * *

جلست "كوكي" معهما فقدم "هوجان" إليها "لوبين" قائلا :

- ها هو ذا صديقي "توم سيمونز" ، وهو بحار كهل وزميل قديم ، شربنا معا في (مورمانسك) .

فحيته "كوكي" ، وسألها عن حالها فأجابت :

- إنني متعبة جدا .. ولا تزال أمامي بعد ذلك حفلتان في الملهى الخاص بي ..

- لقد استمتعت كثيرا بغنائك يا سيدتي ..
- أهذه أول مرة تسمعني فيها ؟ ..
- نعم يا سيدتي ..
- نادني "كوكي" فقط .. فالكل يفعلون ذلك ..
- نعم يا سيدتي ! ..
فقهقه "هوجان" في مرح ، وقال :
- أراهنك أنها لن تكون الأخيرة ..
وعادت "كوكي" تسأل "لوبين" :
- وهل ستبقى طويلا في نيويورك ؟ ..
- كلا سنبحر يوم الثلاثاء عند العشاء .. وهي أوامر الربان . مع أننا لم نلق المرساة إلا أمس فقط .. أليس ذلك أمرا سخيفا ؟ ..
- إنه كذلك حتما .. وإلى أية جهة تقصد باخرتك بعد ذلك ؟ ..
- سنجتاز قناة (بنما) إلى (شنغهاي) رأسا ، ثم نعود إلى "سان فرانسيسكو" ..
فقاطعه "هوجان" قائلا :
- ماذا ترين يا "كوكي" في جرعة من الشراب الجيد تقدمينها لصديقين قديمين مثلنا جف حلقاهما من الهتاف لك ؟ ..
فنفثت "كوكي" دخان سيجارتها ثم نفضت رمادها فوق المائدة وهي تعاود النظر إلى "لوبين" في نظرة لا تنم عن شيء ولكنه أدرك أنها تفكر في أمره .. وأخيرا قالت :
- ربما استطعت أن أجد شيئا من أجلكما ..
ونهضت من مجلسها فتبعها "هوجان" و"لوبين" ، على حين قال الأول مفاخرا :
- ألم أقل لك يا "توم" ؟ ..
فغمغم "لوبين" في احترام :
- إنك رجل عظيم يا "بات" ..
ومضيا وراءها من باب صغير خلف المقصف أدى بهما إلى المطهى

.. وكان خاليا إلا من مائدة كبيرة رصت فوقها أرغفة الخبز وشرائح الجبن وبعض اللحم المقدد .. وكان في ركن منه كومة من الصناديق الفارغة ..

وقادتهما "كوكي" إلى حجرة أخرى داخل المطهى ، كانت بالغة الضيق، لا تكاد تتسع إلا للمقعدين ومنضدة الكتابة التي كانت كل أثاثها .. وكانت "كاي ناتيللو" تجلس أمام المنضدة وهي تكتب على آلة كاتبة قديمة ، بأصابع كأنها مخالب الدب .

فهتف "هوجان" في غير كلفة :

- هاللو "كاي" ! .. كيف حال حبيبتي الليلة ! ؟ ..

بينما قالت لها "كوكي" :

- لقد حضرنا لنشرب كأسا ، فهلا تكرمت بإحضار بعض الأقداح ؟..

فمضت "كاي" إلى المطهى ، ، وعادت تحمل أربعة أقداح فارغة ، على حين أخرجت "كوكي" من درج المنضدة زجاجة من الشراب ملأى حتى نصفها .. ثم قالت لـ "كاي" :

- هذا "توم سيمونز" يا "كاي" .. وقد رست باخرته أمس فقط وستبحر ثانية يوم الثلاثاء .

- وا أسفاه !!

- إننا جميعا ينبغي أن نعمل أيتها الآنسة .. ثم إن العمل في البحر لذيذ ومسل، ما لم تغرق بنا السفينة ..

وملأت "كوكي" الأقداح فشربوا جميعا ، على حين سألت "كاي" :

- وهل ستبحر قريبا بالمثل يا "بات" ؟ ..

- في الأسبوع القادم .. سنذهب إلى جنوب إفريقيا والهند وسنغافورة ثم نعود ثانية من الطريق نفسها ..

- سوف نشعر بالفراغ الذي ستخلفه بيننا .وأنت يا "توم" .. هل أنت عائد إلى انجلترا ؟ ..

- أوه .. لا . . بل إلى "شنغهاي" من قناة (بنما) .. ثم نعود إلى "سان فرانسيسكو" ..

وملأت "كوكي" كاسها ثانية وجرعتها دفعة واحدة ، ثم نهضت قائلة:

- ينبغي أن أترككم الآن للذهاب إلى الملهى ..

ومضت نحو الباب ، ولكنها توقفت كانما نسيت شيئا واستدارت قائلة :

- لماذا لا تحضران إلى (القبو) بعد أن تفرغا من هنا !

فربت " چوهان" على ظهرها وهو يهتف :

- مرحى ! لقد كنا سنفعل ذلك حتما ، وسنذهب للهتاف لك هناك ، أليس كذلك يا "توم" ؟

[illegible]صاح "لوبين" يقلده :

! سنفعل يا "بات" ! .. إننا لم نشبع من غنائها بعد ..

[illegible]ت "كوكي" :

- حسنا .. سوف انتظركما .. وعليك يا "كاي" أن تعتني بهما وتحضريهما معك.

واستجمعت شتات جسمها ، ثم غادرت الحجرة مسرعة وعملت "كاي" بنصيحتها فعنيت بهما ..

ولكن "لوبين" لم يدع نفسه فريسة لهذه العناية البالغة التي انحصرت ، بعد فراغ زجاجة الشراب ، في المرور على عدة حانات في الطريق ، واحتساء كاس أو اثنتين في كل منها ..

وكان "هوجان" يزداد ثملا كلما ازداد شرابا ، وراح يغازل "كاي" ويقول إنها فتاته ، وإن فتاة الرجل الايرلندي هي قلعته .. وكان "لوبين" يتظاهر بالثمل ولكنه كان ينتهز الفرصة ليريق الشراب في أقرب ركن منه ، او تحت الموائد .. أما "كاي" فلم يكن يبدو عليها اي اثر للشراب الذي تناولته ، وكانت تستجيب لمغازلة "هوجان" لها كلما تذكرت ان من واجبها ان تفعل ذلك .

وبذلك استغرق ذهابهم إلى "قبو كوكي" زمنا طويلا .. ولكنهم وصلوا إليه على أية حال .. وكان كل شيء كعهد "لوبين" به منذ ليلتين ، ولكنه

كان الليلة من الأبطال الذين يستقر فوقهم النور الكشاف وتحييهم الجماهير .

وكانت "كوكي" تجار باغنية بذيئة لم يسمعها "لوبين" من قبل فقالت له "كاي" مفاخرة :

- إنها من تاليفي !

فقال "لوبين" في احترام وإعجاب :

- ما شاء الله ! .. سلمت يدك !

وقد قلنا إن كل شيء كان كعهد "لوبين" به في الليلتين الماضيتين ، على غير ما كان يتوقع .. فقد كانت "أفالون دكستر " هناك ايضا .

ولكنها لم تكن قد جاءت لتعمل ، بل جلست كاحد المتفرجين ، إلى مائدة في مؤخر القاعة .. وكان يحس بشعور غريب لجلوسه هكذا رقيبا عليها ، دون أن يجول بخاطرها قط أنه هناك ، وعلى الرغم من أن نظراتها العابرة كانت تمر به دون وعي .

وماإن فرغت "كوكي" من أغنيتها حتى مضت وسط هتاف المعجبين ، إلى منضدة المقصف حيث كان الساقي قد أعد لها قدحا كبيرا من الشراب جرعته سريعا ، وعادت إلى مائدتها ؟

وكان معها وقتئذ الدكتور "زلرمان" .

وبعد أن أتمت التعارف بين الجميع ، قالت للطبيب :

، - إن "توم" سيرحل إلى شنغهاي يوم الثلاثاء ..

وكان "لوبين" يتظاهر بالثمل ، فاضطجع في مقعده ، وبصق بعض الشراب ثم قال في تثاقل :

- وسوف أرى إن كان ما يقال عن الصين وسحرها صحيحا ..

فقال له "زلرمان" في هدوء ، بعد أن تبادل نظرة خفية مع "كوكي" ، لم تفت "لوبين" :

- في وسعي أن أرشدك إلى بعض الأماكن لتذهب إليها لقد قضيت في (شنغهاي) وقتا طيبا قبل الحرب .

وكانت نظراته إلى "لوبين" متفرسة في إمعان شديد ، ولكنه كان

يكسوها بلمحة من العطف والشفقة .. وما لبث "زلرمان" أن تناول كاسه والتفت إلى "كوكي" قائلا :

– على فكرة .. لست أدرك لماذا لا تدعين مستر "هوجان" ومستر "سيمونز" لقضاء بعض الوقت في "لونج ايلاند" ؟ إنهما يستحقان من العناية والرعاية أكثر مما أستطيع أن أقدمه لهما هنا .

فهتفت "كوكي" :

– يا له من رأي عظيم ! .. فماذا تقولان أيها العزيزان ؟ إن لي كوخا صيفيا على شاطئ الاستحمام في (سوثا مبتون) في ضواحي (نيويورك) .. ثم إننا لا نفتح هذا الملهى في أيام الآحاد عادة ، لذلك أرى أن تأتيا معنا لنسبح في المحيط ثم أعود بكما صباح يوم الاثنين ، دون أن تتكبدا سنتا واحدا سوف نذهب جميعا في سيارة الدكتور "زلرمان" وسيارتي فور انتهاء العمل الليلة ، وسوف أهيئ لكما صحبة طيبة لمرافقتكما .. فستكون "أفالون دكستر" معنا .

– ٩ –

وغمغم "لوبين" برغبته في الخروج لحظة ليقابل رجلا كان على موعد معه لشراء كلب منه ، ثم غادر الملهى إلى كشك قريب للتليفون فاتصل بالفندق وسأل عن "أفالون" ، فقيل له إنها ليست موجودة وقتئذ وسأله عامل التليفون عما إذا كان يريد أن يترك رسالة لها .. فسأله "لوبين" عن موعد عودتها فأجاب :

– لست أدري يا سيدي .. ولكنها تتصل بنا كل نصف الساعة في انتظار رسالة لها .. فهل أنت مستر "لوبين" ؟

فحبس "لوبين" أنفاسه لحظة ، ثم استقر رأيه على شيء فقال :

– نعم ..

– لقد كانت تسأل عنك يا سيدي .. فهل يمكنها أن تتصل بك ؟ ..

– أخشى أن يكون ذلك متعذرا الليلة .. ولكن أخبرها أنني سأقابلها غداً .

فلما عاد إلى الملهى ، وجد أنهم اتفقوا على كل شيء من تفاصيل

الرحلة ، وكانوا في انتظار عودته ليأخذهم "زلرمان" في سيارته الكبيرة.. وقالت "كوكي" :

- اما انا فسابقى حتى يغلق الملهى .. كما أن "افالون" قد تحتاج إلى إحضار بعض لوازمها وسوف أحضرها معي .

فادرك "لوبين" أن "افالون" لا تعلم بأن "زلرمان" سوف يكون من أعضاء هذه الرحلة .. وتحقق من ذلك عندما كانوا يهمون بالانصراف ، إذ مرت بهم في تلك اللحظة عائدة من حجرة الزينة وكانت عيناها شاردتين ، وفي أساريرها مسحة من الكآبة والوجوم ..

فتوقف "زلرمان" ، وقال لها في تودد :

- طاب مساؤك يا "افالون" ؟

فردت الفتاة تحيته في اقتضاب دون أن تدع له فرصة التحدث إليها إذ مضت في طريقها لا تلوي على شيء .. على حين ظل الدكتور "زلرمان" يتبعها بنظراته وقد جمدت أساريره حتى غدا كتمثال من الرخام .

* * *

فلما فتح عينيه ثانية ، كانت الأنوار الكاشفة للسيارة لا تزال تخترق الظلام .. فاشعل لفافة ، وعندئذ قال "زلرمان" :

- لقد اقتربنا من وجهتنا ..

ولم تمض برهة حتى بدت للعيان منازل "سوثامبتون" الصغيرة ، وقد هجعت في سكون الليل .

وبعد قليل استقرت بهم السيارة أمام أحد الأكواخ المتناثرة على الشاطئ .. ولكنه لم يكن كوخا صغيرا كما دعته "كوكي" في تواضع ، وإنما كان منزلا متوسط الحجم ذا طابقين ، فتحه "زلرمان" بمفتاح معه وأضاء النور ، فولجوا إلى بهو متوسط السعة في أحد أركانه درج خشبي يؤدي إلى الطابق الأعلى .. ومضوا بعدئذ إلى قاعة استقبال فسيحة لا تقل في السعة عن (قبو كوكي) نفسه ، ذات نوافذ واسعة منخفضة على الطراز الفرنسي تطل على البحر ، وأرائك وثيرة كبيرة

وازاح "زلرمان" مرآتين كبيرتين عن احد الجدران ، فانزلقتا بداخله ، وكشفتا عن (بار) انيق ذي ثلاثة مقاعد عالية ، ورف رصت فوقه زجاجات من الشراب مختلفة الأنواع .. فدخل "زلرمان" خلف المنضدة وهو يقول :

- ماذا تقولون في كاس من الشراب ؟

فصاح "هوجان" :

- يقينا يا دكتور ! .. لا ريب أن هذا ما كنت احاول النطق به عندما كنت نائما احلم بقناة السويس في اثناء مجيئنا

وعندئذ قالت "كاي" :

- سوف انهب لأحضر لكما بعض قطع من الثلج .

قال "هوجان" :

- وسأذهب معك لمساعدتك .

وخرجا معا ، بينما جلس "لوبين" على احد المقاعد امام المقصف ، واسند مرفقه إلى المنضدة وهو يرفع قبعته الرثة إلى الوراء .. ووضع "زلرمان" بعض الأكواب امامه ، ثم انتقى زجاجة من الشراب المعتق وراح يصبه فيها .. وما لبث ان قال في بساطة :

- هل انت مع "باتريك" في نفس السفينة ؟

- كلا .. لقد تقابلنا في "مورمانسك" .

- بالتاكيد .. كان ينبغي ان انكر ذلك . . وهو ذاهب إلى (سنغافورة) وانت إلى (شنغهاي) ..

- تماما يا سيدي ..

- هل تعرف "باتريك" منذ مدة طويلة ؟

- منذ الحرب الماضية فقط .. وكان ذلك في (مورمانسك) .

- ولم تره حتى التقيتما في مقصف "كوكي" الليلة ؟

- بالضبط .. وقد قلت له إني رأيته من قبل .. فقال لي إنه رآني من قبل .. و..

ومضى "لوبين" على هذا النحو من الأقوال التي يبدو فيها اشتداد

الثمل به ..

بينما كان "زلرمان" منهمكا في إعداد الشراب .

وعاد "باتريك" و"كاي ناتيللو" بعد قليل يحملان الثلج ، فمضت ساعة أو نحوها و"لوبين" يثرثر مع الدكتور "زلرمان" على حين جلس "باتريك" و"كاي" على الأريكة الأول يغني بصوته الأجش اغنية (هل جاءت والدتك من أيرلندا ؟) بينما اسندت المرأة رأسها إلى كتفه ومضت ترشف قطرات من كاسها حتى لا تملأه ثانية ، وقد ارتسمت في محياها سمة شريرة لا تناسب المجال ..

وما إن مضت ساعة حتى وقفت سيارة امام الباب ، ثم سمع وقع اقدام ودخلت "كوكي" تتبعها "افالون دكستر" ، ثم "فرديناند بيرفيلد" .. ولكن "لوبين" لم يبال حتى بالنظر إليه ، وركز نظراته على "افالون" .

والقت الفتاة نظرة سريعة على الحاضرين ، فلما رات "زلرمان" بدا عليها الوجوم والضيق لحظة خاطفة بحيث لم يلحظ احد هذه الحالة سوى "لوبين" الذي كان يتفرس فيها مترقبا ما يبدو في أساريرها عند رؤية "زلرمان" ، حتى يتبين إن كان وجوده مفاجاة لها حقا .

ولوحت "افالون" بيدها محيية ، ثم ألقت بنفسها على الأريكة بجوار "باتريك هوجان" و"كاي ناتيللو" وراحت تثرثر مع "هوجان" عن النوادي الليلية والأغاني.

وملأ "زلرمان" قدحين أحدهما لـ "كوكي" ثم مضى بالآخر نحو "افالون" فقدمه إليها وجلس على مسند الأريكة بجوارها وهو يقول في تودد :

- اما وقد اجتمعنا كضيوف هنا فهلا تركنا الخصام وتصافينا ؟

فنظرت إليه "افالون" قائلة في صوت خافت :

- لقد دفعت إلى الحضور دفعا . ومع ذلك فسوف أدع خصامك واصفح عنك إذا ابتعدت عن ذراعي ..

ثم استدارت لتستانف حديثها مع "هوجان" عن الأغاني . وكان "لوبين" قد سمع ما قالته للطبيب إذ كان قد أرهف سمعه لحديثهما ، وعندئذ مضى إلى ما وراء منضدة البار وملأ لنفسه قدحا كبيرا من

الشراب المعتق .

فلما نظر نحو "زلرمان" ثانية وجده واقفا مع "كوكي" وعلى فمه تلك الابتسامة الخالدة .. على حين كان "باتريك" يبين لـ "افالون" كيف تغني أغنية (عندما تبتسم العيون الإيرلندية) وكان "زلرمان" يقول :

- إن الغد موعد مناسب تماما .

فاجابته "كوكي" :

- بل لا يزال امامنا متسع من الوقت .

ثم سارا معا نحو (البار) .. وفي الوقت نفسه كان مستر "بيرفيلد" يتسكع في الحجرة وقد بدا عليه الامتعاض لان احداً لم يبد اي تقدير نحوه أو يحتفي به ، ولانه كان يحس نفورا واشمئزازا حيال "هوجان" و"لوبين":

وكان يرمقهما في ازدراء ..

وعاد الدكتور "زلرمان" خلف البار ، فاتكا عليه ، وبدأ يقول لـ "لوبين":

- إنني يا مستر "سيمونز" ، في دراستي المختلفة للنفس البشرية ، لم أجد شيئا يسحرني ويملك علي حواسي مثل نفسية البحارة والملاحين .. ولا ريب أنك سمعت ما يقال عنهم وعن (فتاة كل ميناء) و "وماذا نفعل بالملاح الثمل ؟) وغير ذلك من الاقوال التي ترمز إلى نفسياتهم المرحة وتركهم لنفوسهم على سجيتها وكل ذلك بسبب إقامتهم في البحرذلك الذي كان يغطي سطح الأرض كلها يوما من الايام والذي خرج منه اجدادنا الأولون ليزحفوا على اليابسة وينشئوا الحياة البدائية الأولى التي نعمل نحن على توسيعها وتكبيرها .

وكان "لوبين" يرمقه في إعجاب وتقدير وقد بدت عليه علائم عدم فهم ما يقول ، بينما كانت "كوكي" تصب لنفسها كاسا اخرى وتقول لـ "بيرفيلد" :

- بالله عليك لا تفسد علينا متعتنا الليلة يا "فردي" وتناول بعض الشراب ثم امضى لترى هل أعددت الأسرة للضيوف ؟ .

وكان "زلرمان" قد استانف حديثه مع "لوبين" ، فقال :

- ولناخذ حالتك مثلا يا "توم" .. فعندما تصل إلى "شنغهاي" ..

ولكنه قطع حديثه إذ انبعثت ضجة عالية نشات من سقوط قدحين وبعض الصحاف على الأرض وتحطيمها عندما دفع "هوجان" الخوان الذي كان امامه وهو يهم بالوقوف قائلا في صوت عال :

- إنني اريد الذهاب إلى دورة المياه ..

قالت "كاي" كانما تلقي درسا محفوظا :

- الباب الثاني إلى اليمين في البهو .

ولكن "هوجان" عاد يصيح وكانه يتحدى العالم باسره :

- انني منذ ولدت أعلم أن دورة مياه البحار هي البحر .. وما كان يفعله "نلسن" سوف افعله انا .

واستدار نحو النافذة العريضة المنخفضة فجنب ستارها وراح يناضل في سبيل فتح مصراعيها .. فتقدم "بيرفيلد" لمساعدته ، ثم هبط إلى الحديقة وراءه واستانف "زلرمان" حديثه لـ "لوبين" فقال :

- فعندما تذهب إلى (شنغهاي) ، سيكون همك ان تشرب حتى تثمل ، وان تجد فتاة تسمر معها .. هل ذهبت إلى (شنغهاي) قبل ذلك ؟ ..

- كلا .. إنها سوف تكون المرة الأولى .. ولا تنس انك وعدتني بإرشادي إلى بعض العناوين ..

- لم انس ذلك .. ولوانني اخشى أن يكون معظمها قد تغير منذ الحرب .. ولكني سوف اجعلك تتصل بصديق لي سيتولى العناية بامرك .. وإنني أعلم انك سوف تجده ، إذ جاءتني أخبار منه أخيرا ..

- وهل يعرف جميع العناوين هناك ؟ .. اعني الأماكن المسلية ؟ ..

- إنه يعرفها جميعا .. وهو رجل ظريف اعتاد ان يبعث إلي ببعض التحف الفنية لمجموعتي .. والواقع إنه ربما امكنك ان تحضر إلي بعضا منها معك عند عودتك ، فقد كتب لي أن لديه اشياء كثيرة من اجلي لو اتيحت له وسيلة إرسالها...

وتناول "لوبين" كاسا اخرى بينما كان يتدبر الأمر ويفكر فيما ينبغي

أن يقوله أو يفعله .. وأخيرا قال :

- ولماذا لا يرسلها إليك بالبريد ؟

- ربما بدا لك الأمر سخيفا ولكن الواقع أنه لا تزال القيود شديدة على استيراد العاديات ..

فغمز "لوبين" بعينيه ، وقال :

- إذن فهو تهريب محمود الأثر ؟ .. حسنا يا رئيسي .. إن "توم سيمونز" رجلك الذي تستطيع الاعتماد عليه .. ولتسقط اللعنة على الجمارك ، كما كنت أقول دائما ..

وراح "زلرمان" يتأمله في إمعان قبل أن يفتح فمه ويهم باستئناف الحديث ..

ولكن لم يتسع له الوقت لذلك إذ انبعثت ضجة عالية من ناحية النافذة ، وانفرج الستار عن "فرديناند بيرفيلد" وهو يخطو إلى الحجرة وقد تمزقت سترته وقميصه ، وراح يصيح كطفل صغير يشكو لأمه ، وهو يقول لـ "كوكي":

- كوكي إن ذلك الرجل الفظيع كاد يقتلني .. لقد مزق لي ثيابي ..

وتلا ذلك دخول "باتريك هوجان" ، قبل أن يستطيع أحد أن يقول شيئا . وكان يزار قائلا في مرح :

- يقينا لقد كنت انتظر هذه الفرصة ..

ومضى نحو البار ، فوضع يده اليسرى على منكب "لوبين" وأداره قليلا وهو يستطرد :

- وأنت يا "توم" يا بني . إنك لست بصديقي إذا سمحت له بالخروج ورائي .. وإذا كنت تعد ذلك دعابة منك فهاك جزاؤك ..

وقبل أن يدرك "لوبين" ما يتهدده ، رفع "هوجان" قبضة يده اليمنى وهوى بها في لكمة عنيفة أصابت فكه ، فسقط عن مقعده ، وتراءت أمام ناظريه أضواء ملونة ساطعة ، تلاها ظلام دامس إذ غاب عن الوعي ..

افاق "لوبين" من سباته تدريجيا وهو يبذل جهدا خارقا كانما ينتشل عقله وحواسه من هوة عميقة القرار .. وعلى الرغم من انه كان يعرف انه قد صرع بضربة قاضية إلا انه كان لديه الكثير من الأشياء التي ينبغي ان يستجمع حواسه تماما قبل أن يتذكرها ..

ولم يفتح عينيه للتو إذ أحس بالم شديد بين صدغيه جعله يقطب حاجبيه ويسكن مكانه بلا حراك .. ومن عجب انه فقد الشعور كثيرا من قبل ، ولكن لم يسبق له أن خر صريعا وغاب عن الوعي من لكمة باليد المجردة ، وإنما عندما كان يصاب من آلات صلبة بايدي أعدائه .. ومهما يكن من أمر فلم تكن غشيته لتطول ولم تكن إفاقته ليصحبها هذا الصداع العنيف إلا عندما يدس له المخدر في الشراب ، فيحس بالأعراض التي يحس بها الآن..

وعاد يفكر في انه الليلة لا يحمل سلاحا على عادته كلما خرج لمغامرة .. ولكن الذي يهمه الآن هو أن يستوثق من انه لا يزال يرتدي ثياب تنكره ..

ولعل الشك الوحيد الذي كان يراوده هو في بقاء شعره على ما كان عليه من الشيب الزائف إذ كان قد رشه بمسحوق الرش الناعم .. أما دهان وجهه ولصوق شاربه فقد كان واثقا من بقائهما على حالهما إذ صنعهما من مواد لا تؤثر فيها المياه ..

وبعد لحظة أدرك لماذا سبح تفكيره إلى هذه الوجهة بالذات ، فقد كان هناك شخص يجلس بجواره ويرطب وجهه بمنشفة مبللة ، ويهز كتفيه في رفق .. بل لقد كان يهتف به في همس رقيق :

- " توم "! .. "توم"! ..

وكان الصوت مألوفا لديه .. فحاول أن يفتح عينيه ، ولكنه ما إن فعل حتى ادرك أنه ليس ثمة أي تغيير .. ترى هل أصابه العمى ؟

وعاد الهمس الرقيق يردد :

- توم .. استيقظ ! ..

فغمغم "لوبين" في نبرات النعاس :
- "افالون" يا حبيبتي ! ..
وعندئذ أحس بوجه ناعم يلامس وجهه ويتمسح على وجنتيه وشفتان تلتصقان بفمه ، وذراعان حانيتان تضغطان على جسمه الساكن .. وبالصوت الرقيق يهمس في لهفة :
- "لوبين" .. حبيبي "لوبين" .. افق يا عزيزي .. استيقظ .. ويلاه ! يالي من غبية ! كيف لم اعرفك ؟ ..
وافاق "لوبين" تماما .. وغمغم قائلا :
- "افالون" ! .. لقد تركت لك رسالة تليفونية انني سوف أراك في الغد.. ولا ريب أن الغد قد حل الآن .. ولكنني لا أستطيع رؤيتك .. اليس ذلك سخيفا ؟ ..
- لقد أطفات النور ثانية حتى لا يبدو من أسفل الباب ..
ولكن "كوكي" توسلت إلي أن افعل ، بعد أن اعتذرت لي في حرارة .. و..
- اذكري لي ما حدث تماما ..
- بعد أن أصابك "باتريك" وصرعك قالت "كوكي" إنك لم ترسل "فرديناند" خلفه ، بل هو الذي تبعه من تلقاء نفسه ، او إنها هي التي ارسلته .. فتالم "باتريك" لخطئه كثيرا .. ومن ثم وضعناك في الفراش وانفض الجميع بعد أن قال الدكتور "زلرمان" إنك ستنام طويلا ..
- ولكني لم انم قط من لطمة تصيبني ..
- إن "باتريك" رجل قوي .. فقد حملك وارتقى بك الدرج بمفرده ..
- ليس لقوته شان في الأمر .. ولا ريب انني تناولت مخدرا ، فقد كان "زلرمان" هو الذي يملأ الأقداح ، ومن المحقق انه وضع لي شيئا فيها ولكني افيق الآن .. ولو أن "زلرمان" كان يعتقد انني سانام طويلا..
- وهل افقت تماما ؟ ..
- إنني لم اثمل البتة الليلة يا بنيتي ، مهما بدا علي من اشتداد الشراب بي ..

- ولكنك لن تستطع النهوض الآن ؟ ..

- من قال ذلك ؟ .. اصغي إلي .. لقد كنت ترطبين وجهي بمنشفة مبللة ، فمن أين حصلت على الماء ؟ ..

- إن المغسل هنا في ركن الحجرة ..

- خذيني إليه إذن ..

فقادته الفتاة في الظلام إلى المغسل حيث راح يريق الماء فوق رأسه وهو يحاذر حتى لاينِد عنه اي صوت .. وما لبث ان احس بقوته وصفاء ذهنه يعودان إليه .. فقال :

- إنني على ما يرام الآن يا "افالون" .. فاخبريني ..

- بل نبئني أولا كيف فعلت ذلك ، ولماذا تنكرت هكذا ؟ . وما الذي جئت تفعله هنا ؟

- لقد ابتعت ثيابا قديمة لأحد البحارة ، وجئت إلى هنا لأنني دعيت إلى الحضور .. ولكن الأهم هو ان تخبريني لماذا كنت تحاولين إيقاظي في هذا الوقت المتاخر من الليل ؟ ..

فاجابته في هدوء :

- لقد كنت خائفة ! ..

وكان يحس بتصلب جسمها بجانبه ، وتوتر اصابعها في يده ، وهي تستطرد - وقد انتابني الجزع عندما رايت "زلرمان" ، فلم يقل لي احد شيئا عنه ، مما يدل على أنهم تعمدوا إخفاء وجوده عني .. ولم ابال بالأمر اولا ، فما يستطيع "زلرمان" ان ينالني بسوء في اثناء وجودكم هنا ولو انك "وباتريك" كنتما ضيفين ولن تتدخلا في شؤوننا الخاصة .. فلما رايت "باتريك" يصرعك لغير ما سبب ، عاودني الفزع .. حتى إذا ما أويت إلى فراشي ، لم أطق النوم ورحت افكر في الأمر مليا وظللت مسهدة ارهف السمع ، فتبينت ان الباقين لن يناموا بعد ذلك، إذ كنت لا افتا اسمع اصواتا غريبة خافتة .. ولكن أحدا لم يدن من حجرتي ، ولم يحاول اقتحامها ، ولو انني كنت قد حرصت على إيصادها وكانت الأصوات التي اسمعها تبدو لي غريبة حقا ، كانما

يحاول أصحابها إخفاءها عن السمع .. فلما اشتدت بي الهواجس واستبد بي الذعر شعرت بحاجتي إلى شخص اتحدث إليه ، ولم اجد خيرا منك أو من "باتريك" .. ولم اكن اعرف ما يمكن أن اقوله لك عندما حضرت إلى هنا ، ولكن لم افكر في شيء من ذلك .. فلما جئت واضات النور وتبينت أن "باتريك" ليس في فراشه ، وانك ملقي كالجثة الهامدة لا رجاء في استيقاظك كما قال "زلرمان" ، جن جنوني وكدت اصيح من فرط الرعب ..

وكان "لوبين" يحيطها بذراعه ويضمها إليه ، على حين كانت يده الأخرى موضوعة فوق فخذه ، فاحس بشيء معدني حاد الزوايا تحت يده ، وما لبث أن مد يده إلى جيب سرواله ليحاول أن يتبين كنه هذا الشيء في اثناء حديثه مع "افالون" ، ثم قال :

– ينبغي أن اخبرك بشيء او اثنين يا عزيزتي ، على أن اقص التفاصيل عليك فيما بعد إذا اتسع لنا الوقت .. فنحن الآن في موقف ترخص فيه الحياة البشرية حتى تغدو اقل من التراب ، فاصغي إلي ولا تقاطعيني ..

وتمهل لحظة قبل أن يتابع حديثه فيقول :

– إن العلاقة بين رقم ٩٠٣ بـ "بابلنج رود " بـ"شنغهاي" ، وبين المرفا والميناء في نيويورك ليست مبينة في اية خريطة بحرية ، ولكني ساوضحها لك بان اقص عليك قصة صغيرة .. فيحكى أن رجلا ولنسمه مثلا الدكتور "زلرمان" ، خطرت له فكرة بادية البساطة .. هي انه إذا استطاع أن يزود شخصا ما بالمخدرات ، استطاع أن يجعل منه آلة يسيرها كيفما شاء .. وكانت الحرب قد قضت على تهريب المخدرات قضاء مبرما ، إلا أن إحياء هذه التجارة كان متوقعا منذ أن غدت (هيروشيما) من الذكريات التاريخية .. وبذلك بدات الصلة بين (شنغهاي) و(نيويورك) .. وكان الافيون موجودا بوفرة في الشرق وقد خزنه تجاره في انتظار انتهاء الحرب وكانوا يعلمون أن البواخر التجارية سوف تعاود مسيرها وأن الكثير منها يمر بـ"نيويورك" ..

ومن ثم جمع الدكتور "زلرمان" حوله زميلا أو اثنين واختار مركزا لعمله هنا ، ولنسمه مثلا مقصف (كوكي) حيث يدعى بحارة البواخر التجارية ليأكلوا ويشربوا ويستمتعوا ما طاب لهم الاستمتاع ، وكل ذلك بلا مقابل . ويقع الاختيار على بعضهم فيدعون للاستزادة من الشراب والطعام والمتعة في قبو (كوكي) حيث يقدمون للدكتور "زلرمان"، فيستطيع بخبرته وبراعته كعالم نفسي أن يستشف مواطن الضعف فيهم ولا يلبث أن يقول لبعضهم : ما رأيك في ربح بعض المال الحلال ؟ .. إليك مائة دولار على الحساب ، وما عليك عند وصولك إلى شنغهاي إلا أن تقصد إلى رقم ٩٠٣ شارع "بابلنج رود" فتقول (لقد أرسلني جورج ..) ثم تحضر اللفافة التي تعطى إليك وتسلمها إلى مستر "جيمس براثر" مثلا فتنال المزيد من المال ..

ولكن بيع هذه المخدرات وتوزيعها لا يكاد ينتج الأرباح المتوقعة منها بما يكفي المشتركين فيها .. ومن ثم تبدأ العملية الثانية وليس ثمة شخص يستطيع أن يمد مرضاه بالمخدر مثل الطبيب البارع .. حتى إذا ما وقعوا تحت سلطانه أمكنه أن يكتشف أو يخلق ما يمكن أن يستخدمه في ابتزاز المال منهم .. وهكذا تنتشر شبكة واسعة من الإجرام تبدأ في "شنغهاي" وتنتهي في عيادة الطبيب مارة بالمقصف والملهى اللذين تديرهما "كوكي" ..

فقالت "أفالون" وهي تلهث دهشة :

– إذن فالأمر كذلك ؟ .. إن هذا يفسر لي أشياء كثيرة كنت لا أفهمها من قبل وأدرك "لوبين" أن الفتاة صادقة في دهشتها ، وأنها لم تكن تعرف شيئا مما يدور حولها .. وفي ذلك الوقت كانت أنامله لا تزال تعبث بالجسم المعدني الذي وجده في جيب سرواله دون أن يستطيع معرفته تماما ، فقال :

– هل يمكنك أن تجدي علبة ثقاب يا "أفالون" ؟

وسرعان ما أشعلت الفتاة الثقاب ، وعلى ضوئه رأى "لوبين" ذلك الشيء وقال: – لا ريب أن "هوجان" قد وضع علامته في جيبي

كمحاولة اخيرة يائسة لطلب النجدة والمعونة .. وهو لم يعرفني قط كما لم احسب أن يكون "هوجان" احد ضباط هيئة مكافحة التهرب في مصلحة الضرائب ! ..

* * *

وانطفا عود الثقاب ، فاستطرد "لوبين" :

– ولقد ادركت انه ينتمي إلى إحدى الهيئات الرسمية عندما وجدت علامته في جيبي منذ قليل .. اما قبل ذلك فقد كنت حائرا في هويته .. وقد تبينت عندما كنا في المقصف انه يحمل مسدسا في جيبه ، كما تبينت في مغازلته لـ "كاي ناتيللو" انه يمثل دورا معينا ، إذ إنها امراة لا يمكن أن تكون فتاة احلام البحارة وموضع غزلهم . ولكني كنت احسبه من افراد العصابة وانه يمثل هذا الدور للتغرير بي ..

– ولكن لماذا صرعك إذا لم يكن منهم ؟ ..

– ليزيحني من الطريق ، إذ لم يعرف شخصيتي . . فقد اديت دور الملاح الكهل في براعة لا باس بها ، ومضيت كانما احاول استرضاء "كوكي" و"زلرمان" .. واراد "هوجان" ان ينفرد بمهمته في ضبط العصابة، وخشي أن اكون شديد الثمل بحيث لا اذكر ما اراه او أرفض اداء الشهادة معه ، ولذلك افتعل هذه المسرحية البارعة ليتخلص مني .

– ولكن اين "هوجان" ما دام ليس في فراشه ؟ ولماذا ترك علامته معك؟

– إما أن يكون قد فعل ذلك ليرشدني إلى حقيقته فاطبق فمي واخلد إلى الصمت ، وإما انه تبين مقدار الخطر الجسيم الذي يقدم عليه ، فاراد أن يدفعني إلى إبلاغ السلطات إذا ما اصابه شيء .. ومهما يكن من امر فسامضي للبحث عنه ..

وارادت الفتاة ان تثنيه عن عزمه فطمانها إلى انه قد استعاد قواه تماما ، وطبع قبله حارة على فمها ، ثم مضى نحو الباب ففتحه ..

وكانت الردهة معتمة ساكنة لا حياة فيها ، ولكنه ما لبث ان سمع

ضوضاء خافتة تبين فيها همهمة اصوات تتحدث ، وصليلاً معدنيا ينبعث من الطابق الأسفل .. ولم يستطع أن يميز شيئا محددا من هذه الضوضاء او كلمة مفهومة من الحديث ولكنها كانت توحي بالرهبة وتنم عن أشياء خطيرة تجري في مكان ما باسفل الكوخ .. اشياء تدفع "لوبين" إلى المبادرة باكتشافها ، إذ تدل على أن "باتريك هوجان" في ورطة مروعة وخطر داهم ، وانه فقد مسدسه وإلا لكان للضوضاء مظهر آخر مختلف كل الاختلاف عما هو عليه الآن ..

وكان يتحرك في حذر كالمهر ، وأرهف السمع عندما سمع صوتا جديدا يطغى على الضوضاء الخافتة .. كان صوت اثنين يتحدثان .. فلما استطاع "لوبين" أن يركز حواسه في الإصغاء ، تالقت في ذاكرته ومضة خاطفة من الفهم ..

فقد كان أحد الصوتين مماثلا لذلك الذي سمعه في التليفون عندما سطا على عيادة الدكتور "زلرمان" ..

وكان صوت " فرديناند بيرفيلد" ..

واسرع "لوبين" ، تتبعه "افالون" نحو الباب الموصد الذي ينبعث من ورائه صوت "فرديناند " والدكتور "زلرمان" ، فسمع الأول يقول :

– كلا .. لن افعل شيئا من ذلك .. فهذه مهمتك ويجب أن تتمها يا "ارنست"!.. وقطب "لوبين" حاجبيه .. فلم تكن نبرات "بيرفيلد " تلك النبرات المخنثة الرقيقة، وإنما كانت الآن صارمة قوية تبدو فيها السلطة والأمر .. ولم تكن تلك النبرات الواهنة الضارعة التي شكا فيها إلى "كوكي" ضرب "هوجان" إياه وتمزيقه ثيابه وإنما كانت الآن نبرات رجل يستطيع أن ينطق بحكم الإعدام على كثيرين ..

وانبثقت اشعة المعرفة في راس "لوبين" .. وإذا به يتبين أن زمالة الدكتور "زلرمان" و"كوكي" و"كاي ناتيللو" ، وصلتهم جميعا بـ "سام جفريز" و"جوهيمان" واضرابهما واشتراكهم مع "جيمس براثر" وغيره ، إنما تشبه خيوط الشبكة التي ينسجها العنكبوت ويربط فيما بينها في دقة وإحكام لقضاء اغراضه ..

وإن ذلك العنكبوت الشرير .. الراس المدبر لهذا كله والذي ينشده "لوبين" من بادئ الأمر ، إنما هو مستر "فرديناند بيرفيلد" الفنان ! .

أحس "لوبين" باصابع "افالون" تضغط على ذراعه ، وقد تملكتها دهشة طاغية فراح يربت يدها وهو يصغي إلى "بيرفيلد" إذ استطرد قائلا :

– سوف يكون امرا فظيعا أن نفقدك يا "ارنست" .. ولكنك تعرف تماما كم تود إدارة المخابرات السرية ان تعلم السر في قدومك من (فيينا) كلاجئ سياسي . وقد اخذتك في حمايتي كل هذا الوقت ، ولكني لن افعل ذلك إلى الأبد .. فإذا تخليت عن عملك معنا ، وحدث شيء ..

– إنني لا اريد ان اتخلى عن العمل يا "فرديناند" .. ولكن الوسائل التي اتبعناها معه لم تؤد إلى نتيجة مثمرة .. وفي ظني انه سوف يموت قبل ان يخبرنا بما يعرفه ..

وكان الدكتور "زلرمان" يقول ذلك في ضراعة ومذلة ، على حين كان صوت "بيرفيلد" يفيض بالقوة والصرامة إذ اجابه :

– حذار أن يحدث ذلك فإنني اريد معرفة كل ما يعلمه هذا الرجل .. ولن أشترك معكم .. فإنك تعلم انني لا اطيق رؤية مناظر الدماء والتعذيب ، وإنما تصيبني بالام فظيعة ..

– ولكن هذا لم يكن شانك في حالة "البرت فولي" .. فلم يبد عليك اي تاثر وقتئذ ..

– آه ! . لقد تاثرت تماما .. وعندما طعنته بتلك المدية ، كاد يغمى علي ، وكدت أصيح فزعا . ولكنني كنت مضطرا إلى هذا العمل إذ كان "فولي" يعبث بنا ويسعى لبيعنا ويحاول أن يبتز المال منا بهذا التهديد .. وكان يجب عليك انت أن تتولى أمره .. فلما لم تفعل اضطررت إلى التدخل مكرها ..

– الا تريد أن تحضر لمساعدتنا الآن ؟ ..

– كل ما في الأمر انني أريد هذه المعلومات في الحال ..

وعندئذ جذب "لوبين" افالون" بعيدا عن الباب وأسرعا إلى ركن البهو فوقفا ملاصقين للجدار في سكون مطبق حتى غادر الدكتور "زلرمان" حجرة "فرديناند" متجها نحو الدرج المؤدي إلى الأسفل دون أن تتجه نظراته ناحيتهما وكان على "لوبين" أن يسكت "بيرفيلد" أولا ، فمضى نحو الباب وفتحه على مصراعيه .. وكان "فرديناند" يقف في وسط الحجرة مرتديا بيجامة بلون الكريز فتحول ليواجه الداخل وراح ينظر إليه في غير اكتراث ، كما لو كان يتوقع أن يرى "زلرمان" عائدا إليه ليعتذر عما فرط منه .. ولكنه إذ رأى "لوبين"، ظلت أساريره على جمودها ، بيد أن المفاجاة هزت كيانه هزا واحس بدبيب الهلع يسري تحت جلده ثم ينبثق من مسامه على هيئة عرق غزير .. وما لبث أن ارتسم الفزع على وجهه الجامد ، ولم يعد يستطيع الحراك من مكانه او ينبس ببنت شفة ..

واسف "لوبين" لحالة الفتى ورثى له .. ولكن مستر "بيرفيلد" كان يهدد السلام والهدوء اللذين يحتاجهما "لوبين" لإتمام مهمته ، ومن ثم تقدم نحوه وقبض على عنقه ، وهو يغمغم :

- الا تعلم يا "فردي" انه قد حان الوقت لنوم الفتيات الصغيرات ؟ ..

ثم رفع قبضته واهوى بها على فكه واسرع يتلقاه بين ذراعيه وقد غاب عن الوعي .. ثم نقله إلى الفراش واوثق يديه وقدميه وثاقا محكما، وكمم فاه حتى يمنعه من الصياح إذا ما افاق من غشيته .. وبعد ذلك راح يفتش ثيابه فلم يعثر على اي سلاح بها ، كما لم يجد في الحجرة نفسها شيئا يستحق الذكر .

وغادر "لوبين" تلك الحجرة ، في طريقه إلى الدرج ، وقد احس بان الفزع الذي تملك مستر "بيرفيلد" لم يكن بسبب رؤيته له ، فما ينتاب الفزع ذلك الأفعوان لمجرد رؤية "توم سيمونز" الملاح الكهل الثمل ، وإنما لأن هناك شيئا يجري في مكان ما من ذلك المنزل يخشى "بيرفيلد" ان يراه احد ، شيئا يهدد حياة "باتريك هوجان" بخطر الموت ، إن لم يكن الموت نفسه ..

وبلغ "لوبين" نهاية الدرج . و"افالون" معه .. ولو ان الفتاة أرادت النجاة بنفسها لكان ذلك ميسورا لها إذ غدت على قيد ذراعين من باب الخروج .. ولكنها راحت تنظر إلى "لوبين" في عزم وجراة ، وإن كانت الحيرة واللهفة تخالطان نظراتها الصارمة ..

وكان باب حجرة الاستقبال موصدا .. ولكن الأصوات التي انبعثت خلاله ، كانت واضحة الدلالة على ما يجري بداخلها ..

وابتسم "لوبين" للفتاة ، وتركها ثم مضى إلى المطهى وما لبث أن عاد ومعه سكين مقوسة مرهفة النصل ذات مقبض من العاج ، دسها في كمه الأيسر وثنى ذراعه قليلا ليثبتها في مكانها ..

وادنى فمه من أذن "افالون" ، وقال بصوت خافت :

- أسرعي بالخروج يا عزيزتي ، وخذي إحدى السيارات واذهبي إلى المدينة لإبلاغ رجال الشرطة وإحضارهم إلى هنا باسرع ما في وسعك ..وفي خلال ذلك ساقوم بمناوشتهم حتى لا يفر احدهم ..

ولكنها هزت راسها نفيا .. وما كان في استطاعته أن يجادلها وقتئذ .. فتركها وهو يرجو أن تغير رايها ، ومضى نحو باب حجرة الاستقبال فانحنى لينظر خلال ثقب المفتاح ليتبين الموقف الذي سيواجهه عند دخوله .

وكان ما راه شيئا رهيبا .. بلغ من هوله انه جعل الرعدة تسري في أوصال "ارسين لوبين" نفسه ..

وفي اللحظة نفسها سمع صوت الدكتور "زلرمان" يقول في نبراته الرقيقة :

- لماذا لا تتعقل يا "باتريك" وتخبرنا بما تعرفه ؟ .. الا تعلم انني سوف أمضي في هذا العمل إلى النهاية حتى تعترف لنا بكل ما عرفته في اثناء تنكرك ؟

واختفت الصورة الصغيرة التي تبدو من ثقب المفتاح ليحل محلها منظر كامل دقيق التفاصيل عندما دفع "لوبين" الباب على مصراعيه ..

وكان ذلك شيئا لن ينساه "لوبين" مدى الحياة .. كان منظرا من

مناظر الأساطير التي تروى عن القرون الوسطى ومحاكم التفتيش ..

كان الدكتور "زلرمان" يقف منتصب القامة يجلل هامته شعره الأشيب المهيب، وبين اصابعه لفافة لم ينفض رمادها مما يدل على رباطة جاشه وهدوء أعصابه .. بينما كان امامه "باتريك هوجان" مقيد اليدين والقدمين إلى أحد المقاعد ، وعرق الألم يتصبب من جبينه ويسيل على عينيه ووجنتيه حتى يختفي بين طيات الكمامة التي شدت فوق فمه ..

وكانت المرأتان تقفان إلى جانبه ، وقد اختفت الابتسامة التقليدية من أساريرهما ، وارتسمت محلها بسمة شيطانية مروعة .. ولعل الأحرى أن تقول الجلادين ، فقد كانت المرأتان تتوليان بنفسيهما عملية التعذيب الرهيبة ، وقد امسكت "كاي ناتيللو" بمحرك النار وهو يتوهج احمرارا من شدة الحرارة ، وتضعه على قدم "باتريك" العارية فيسمع لنزوله حسيس غريب تفوح على أثره رائحة الجلد المحترق .. وعندئذ تهتز الكمامة فوق فم "باتريك" وتنبعث من حلقه همهمة تقطع نياط القلوب .

كما يهتز وجهه كله تحت صفعات "كوكي" المدوية وهي تواليه الصفعة تلو الأخرى بيدها المكتنزة الثقيلة ..

وسار "لوبين" إلى داخل الحجرة فارغ اليدين ، والسكين مثبتة لصق ساعده .. فما كاد "زلرمان" يراه حتى امتدت يده في عجلة إلى جيبه الخلفي ، ولكنه ما لبث أن استعادها وقد بدت في محياه علائم التردد..

فقد تحول "لوبين" ثانية إلى "توم سيمونز" الثمل المترنح .وكان شديد السيطرة على أعصابه حتى لا تخونه في تلك اللحظات الحاسمة الدقيقة التي كانت اقل حركة خاطئة ياتيها كفيلة بان تورده و"باتريك هوجان" موارد الهلاك معا ..

وهتف في تلعثم من فرط السكر :

- هالودكتور! .. ما قولك في كاس أخرى لمحسوبك ؟ .

فرأى "زلرمان" تنفرج أساريره قليلا .. كما رأى "كوكي" و"ناتيللو" تنظران إليه في جزع وترقب وأمل .. وعندئذ قال الطبيب :

- لا ريب أنك قد أفقت من جديد يا "توم" .. فقد كنا لا نتوقع أن تفيق قبل الصباح من فرط ما شربت .. وهأنت تستيقظ بينما نهم نحن بالذهاب إلى الفراش ..

- لقد كنت نائما .. ولكنني افقت على ظما شديد فجئت لأرطب حلقي ببعض الشراب ..

وتظاهر بانه يرى "هوجان" للمرة الأولى فتقدم نحوه في تعثر ، وهو يقول .

- آه ! .. ها هو الوغد الذي صرعني .. الا دعني اذقه بمثل ما اذاقني . فقال "زلرمان" :

- لقد افرط "باتريك" في الشراب ، وها نحن نحاول أن نحمله إلى فراشه ..

وكان الطبيب يتحرك في مهارة وخفة ليحول بين "لوبين" وبين رؤية الحالة التي كان عليها "هوجان" .. ولكن هذا لا يفتا يتقدم خطوة بعد أخرى وهو يكاد يسقط على الأرض من شدة الترنح ..

وبغتة رأى الطبيب يتصلب وجهه ، وتلوح في عينيه نظرة رهيبة وقد استقرتا على شيء معين خلف "لوبين" .. فادرك هذا أن "أفالون" لم تطق الصبر ، ودخلت الحجرة وراءه ..

وتوالت الأحداث في مثل وميض البرق ، فقد اخرج "زلرمان" مسدسه وأطلقه فاصاب "لوبين" في ذراعه في اللحظة نفسها التي كان هذا فيها قد شد ساعده وتلقى بيده اليمنى مقبض السكين التي يحملها .. وقبل ان يتسع وقت "زلرمان" ليطلق رصاصة أخرى كان "لوبين" يدفع السكين في صدره حيث غاصت حتى المقبض ، ثم يختطف المسدس من يده المتراخية ، قبل ان يهوي إلى الأرض ..

وهجمت عليه "كاي ناتيللو" وقد شرعت قطعة الحديد المتوهجة في يدها ، فاضطر إلى أن يطلق على تلك اليد رصاصة من مسدس "زلرمان"

جعلت المرأة تصيح في الم بالغ وتسقط الأداة الجهنمية من يدها ..

وفي اللحظة التالية وقبل ان تفيق "كوكي" و"كاي" من ذهولهما كان "لوبين" يامرهما بان يرفعا أيديهما إلى أعلى ، ثم يشير إلى "افالون" بان تقطع حبال الستار المسدلة على النافذة ، وتوثق بها قياد المرآتين الجهنميتين ..

- ١٢ -

وقال "هاملتون" في اسف :

- اما كان في وسعك أن تبقي على حياة "زلرمان" حتى ينال جزاءه؟..

- وهل كان في وسعك أن تمنعه من قتلي ؟ ..إن الدفاع عن النفس امر مشروع يا صديقي .. ومع ذلك فقد تركت لك في الوكر الأفعوان الأكبر والثنتين من افاعيه ..

- هذا يكفي الآن .. ويجدر بك أن تغادر المكان ، وسوف اتصل بك في "نيويورك" إذ لدي مهمة أخرى من اجلك ..

- هكذا تريد دائما الا تدع لي فرصة للراحة .. اجل .. سوف اترك المكان لـ "هوجان" ، فإن فيه الكفاية ..

فلما أعاد مسماع التليفون مكانه ، تحول إلى "باتريك" قائلا :

- إنها قضيتك انت يا "باتريك" .. وعلى فكرة ، هل هذا اسمك الحقيقي ؟ ..

فاوما الضابط المنكود براسه .. وكان "لوبين" قد فعل كل ما يستطيع في سبيل تخفيف آلامه ، ولكن وجهه كان شديد الامتقاع .. وما لبث أن غمغم قائلا:

- اجل .. "هوجان" هو اسمي الحقيقي .. ولكنك خدعتني تماما بتنكرك البارع .. لم اكن اتوقع البتة ان تكون "ارسين لوبين" عندما تركت علامتي النحاسية في جيبك ، وإنما كنت كالغريق يتعلق بقشة ، وخيل إلي أن الأمل لا يعدو واحدا في الألف إذ كنت أحسبك من أولئك البحارة السكارى الذين تلتقطهم العصابة لتستخدمهم في التهريب

ولعل ذلك كان السبب في استجابتي لك عندما تمسحت بي في المقصف حتى أستطيع أن أراقب ما تفعله العصابة معك ..

فقهقه "لوبين" في جذل ، وكانت "افالون" قد فرغت من تضميد الجرح الذي أصاب ذراعه ، وراحت تعاونه في ارتداء معطفه .

فاحتضنها بيده الأخرى ، وقال لـ "باتريك" :

- إن رجال البوليس في الطريق إليك الآن ، فلا تقل لهم شيئا عني .. وإنك لرجل شجاع يا "هوجان" .. ويسعدني أن عرفتك ..

وفي لهجة البحار الثمل ، استطرد يقول :

- يقينا يا بني أننا سنلتقي مرة أخرى .. ربما في "مورمانسك" .

تمت بحمد الله